ملف

الذكرى 109 لثورة أكتوبر 1917

حلت متم شهر أكتوبر الذكرى 109 لثورة أكتوبر، أكبر منعطف في تاريخ البشرية المضطهدة. سيرا على نهجها التثقيفي الرامي لتنوير الشباب وعامة المنشغلين بمسائل التغيير من أجل مستقبل التحرر، حرصت جريدة المناضل-ة على انتقاء مقالات توضح طبيعة هذا الحدث ومستتبعاته من جوانب مختلفة. هذا ضمن عودة نقدية لا بد منها، قال عنها دانيال بنسعيد أنها « تثير جملة أسئلة، من طبيعة تاريخية وبرنامجية على السواء. والرهان عظيم. فعليها نتوقف ، لا أقل و لا أكثر، مقدرتنا على انقاذ الماضي من النسيان للحفاظ على مستقبل مفتوح على الفعل الثوري، لأنه ليس لكل المواضي نفس المستقبل».

المناضل-ة

محتويات الملف:

- **1917-1924: ذروة الثورة وأفولها**
- **الاستقلال الطبقي والنضال من أجل السلطة في الثورة الروسية**
- **أكتوبر 1917: النساء في الثورة**
- **ثورة أكتوبر والمسألة القومية**
- **العنف والثورة في عام 1917**

جريدة المناضل-ة

1917-1924: ذروة الثورة وأفولها

بقلم؛ جان-فيليب ديفيس Jean-Philippe Divès

إن الانتقال، بعد انتفاضة أكتوبر، وفي مدة وجيزة في نهاية المطاف، من حركة تحررية هائلة إلى نظام استغلال واضطهاد كان من أسوأ أنظمة تاريخ القرن العشرين، قد وجه ضربة بالغة القسوة لمُثُل الثورة والاشتراكية والشيوعية، ولا تزال آثارها مستمرة حتى يومنا هذا. ولا يزال هذا الأمر لغزًا لم يُحل تمامًا، ولا يمكن مواجهته إذا أغفلنا أحد أجزاء الكل أو قللنا من أهميته.

«أيها الرفاق العمال! تذكروا أنكم الآن أنتم أنفسكم من يدير الدولة: لن يساعدكم أحد إن لم تتحدوا أنتم أنفسكم، وإن لم تمسكوا بزمام شؤون الدولة كلها. أصبحت «السوفييتات» الخاصة بكم الآن هي أجهزة سلطة الدولة، المزودة بالسلطات الكاملة، وهي أجهزة تمسك بسلطة اتخاذ القرار. تجمعوا حول سوفييتاتكم. عززوها. انطلقوا بأنفسكم للعمل في القاعدة، دون انتظار أحد (...) استولوا على السلطة كلها وأوكلوها إلى سوفييتاتكم. صونوا الأرض، والقمح، والمصانع، والمعدات، والمواد الغذائية، ووسائل النقل كبؤبؤة أعينكم – فكل هذا سيكون من الآن فصاعدًا ملككم بالكامل، وملكية الشعب بأسره.»

هكذا تحدث لينين، رئيس مجلس مفوضي الشعب الجديد، في نداءه إلى الشعب نشرته صحيفة برافدا في 6 (19) نوفمبر 20171. ويبدو جليًّا الترابط مع الأفكار التي كان قد سجلها للتو في كتابه الدولة والثورة. كان هذا بالفعل «البرنامج الحكومي» البلشفي.

وبالفعل، شهدت الأشهر القليلة التالية، في غمرة فرح وفوضى، تطور حركة تحرير عملاقة عمالية وفلاحية وشعبية. نشأت في ربوع البلد كلها سوفييتات جديدة وحلت تدريجيًا محل السلطات المحلية القديمة. وفي الريف، نظمت لجان الفلاحين مصادرة الممتلكات الكبيرة وتقاسم الأراضي. وفي المدن، قامت لجان المصانع بتعميم «الرقابة العمالية» قبل أن تنتقل، في مواجهة التخريب وعداء الملاك، إلى اتخاذ إجراءات المصادرة التي قامت السلطة الجديدة بعد ذلك بإضفاء الشرعية عليها.

حققت الثورة، في السنوات التالية، مكاسب هائلة للجماهير. ليس على صعيد مستوى معيشتها، نظراً للظروف المعاكسة المروعة التي كان عليها مواجهتها آنذاك. لكن السلطة السوفيتية اتخذت خطوات حاسمة — كما تذكر مقالات أخرى في هذا الملف — على طريق تحرير المرأة، ومحو الأمية وإتاحة الثقافة لأوسع الجماهير، فضلاً عن تحرير الشعوب التي كانت تعاني من نير القومية الروسية الكبرى (وهو جانب قضى عليه النظام الستاليني عملياً، ما ساهم بشكل كبير في تفكك الاتحاد السوفيتي بين عامي 1989 و1991).

ومن الدال أنه في أجواء الحبور التي سادت الأسابيع الأولى، حتى حل الجمعية التأسيسية في 6 (19) يناير تم بسهولة مذهلة. في الساعة الخامسة صباحًا، توجه البحار اللاسلطوي (الأناركي) جيليزنياك، المسؤول عن الحراسة المسلحة للمباني، إلى القاعة حيث كان نواب حزب الكاديت والاشتراكيين الثوريين اليمينيين والمناشفة يواصلون التشاور؛ وأعلن أنه تلقى أمراً بإنهاء الاجتماع « لأن الحرس متعب «، وبذلك انتهى الأمر. لكن ما تلا ذلك كان أقل سهولة بكثير.

«سلام بريست-ليتوفسك المخزي»

هي عبارة قالها لينين. ومع ذلك، قرر هو وأغلبية القيادة البلشفية (بما فيه تروتسكي، مفوض الشعب — الوزير — الذي شغل منصب وزير الخارجية أولاً ثم وزير الحرب) التوقيع، في 3 مارس 1918، على هذه المعاهدة التي جردت روسيا آنذاك من ربع أراضيها وسكانها، ومن حصة أكبر من إنتاجها الزراعي والمعدني والصناعي. فإما ذلك، في رأيهم، وإما المخاطرة بالهزيمة على المدى القصير أمام الجيوش الألمانية والنمساوية-المجرية. فقد كان الفلاحون-الجنود الروس قد اتاحوا للتو تحقيق انتصار الثورة البروليتارية، التي كانت وحدها تعدهم بالسلام؛ ومنذ شهر ديسمبر، تؤكد جميع التقارير الواردة من

الجبهة أنهم ليسوا مستعدين للقتال لحظة واحدة أخرى، ما يجعل انقطاع مفاوضات السلام سيؤدي إلى هروب جماعي من الخدمة العسكرية، وستصبح بتروغراد مهددة على الفور.

بيد أن قرار أغلبية الحزب البلشفي واجه معارضة شديدة في المعسكر الثوري ذاته، من جانب الحزب الاشتراكي الثوري اليساري، الذي كان يشغل منذ 9 (22) ديسمبر ربع مناصب مفوضي الشعب؛ و أيضًا من جانب قطاع بلشفي مهم، يضم قادة مثل بوخارين، أوريتسكي، وبياتاكوف، وراديك، بالإضافة إلى شليابنيكوف وكولونتاي (قادة تيار المعارضة العمالية في 1920-1921)، وسابرونوف، وفلاديمير سميرنوف، وأوسينسكي (الذين سيشكلون في عام 1919 تيار «المركزية الديمقراطية»، «الديسيون»). ومعارضةً للسلام الإمبريالي والضمي، دعا هؤلاء «الشيوعيون اليساريون» إلى شن »حرب ثورية«، إذا لزم الأمر عن طريق عمليات حرب غوار. ونظموا أنفسهم في تيار وأطلقوا إصدار جريدتهم، Kommunist، التي كانت في البداية صحيفة ثم أصبحت مجلة نظرية.2

هُزموا في مؤتمر الحزب السابع (من 6 إلى 8 مارس)، بأغلبية 28 صوتًا مقابل 12. وصادق المؤتمر السوفييتات الرابع، في 15 مارس، على معاهدة بريست-ليتوفسك. امتنع الشيوعيون اليساريون عن التصويت، لكن قادتهم استقالوا من مناصبهم على رأس الدولة والحزب؛ وهكذا انسحب ديبينكو وكولونتاي وأوسينسكي وفلاديمير سميرنوف من الحكومة، على غرار مفوضي الشعب من يسار الاشتراكيين الثوريين. يرى الشيوعيون اليساريون، «أن إبرام جمهورية السوفييتات لسلام ضمّ مع ألمانيا قد أضعف بلا شك مؤقتًا قوى الثورة العالمية وعزز الإمبريالية العالمية»3. إلا أن نطاق الخلافات كان أوسع من ذلك. ففي النص نفسه، نددوا ب»المركزية البيروقراطية، وهيمنة مختلف المفوضين، وفقدان استقلالية السوفييتات المحلية، ورفض نموذج الدولة-الكومونة التي تُدار من القاعدة».

وبدا الحزب آنذاك على شفا القطيعة. لكن الشيوعيين اليساريين رفضوا الاقدام على هذه الخطوة. كما سجلوا معاهدة بريست-ليتوفسك، معترفين بأنها أدت إلى واقع موضوعي جديد يجب التكيف معه. وسرعان ما دفع تدهورُ الوضع المتسارع والهجمات القادمة من جميع الجهات (بما في ذلك هجمات اليساريين من الاشتراكيين الثوريين) البلاشفةَ إلى توحيد صفوفهم.

في المقابل، أعلن يسار الاشتراكيين الثوريين استمرار محاربته لهذه المعاهدة. وهو ما سيفعله، تماشيًا مع تقاليد الإرهاب النارودنيكي (الشعبوي) الذي ورثه حزبه. فاغتال، في 6 يوليو في موسكو، سفير ألمانيا على أمل أن تساعد هذه الخطوة في استئناف الأعمال العدائية. ونظم، في أعقاب ذلك، محاولة انتفاضة في العاصمة؛ ولكنها كانت مرتجلة ومفتقرة إلى الدعم الشعبي، فتم احتواؤها بسرعة. لكن العواقب السياسية كانت كارثية.

فقد كان يسار الاشتراكيين الثوريين في الواقع حليف الوحيد البلاشفة. وبعد مارس، كان لا يزال يتعاون معهم داخل مختلف الهيئات السوفيتية. ومنذ ذلك الحين، وجد البلاشفة أنفسهم وحدهم في السلطة. ومن هذا الموقف بدؤوا، بعد أن «جعلوا من الضرورة فضيلة» على حد تعبير روزا لوكسمبورغ (في نصها لعام 1918 عن الثورة الروسية)، ينظرون «لديكتاتورية حزب وحيد» أقر تروتسكي، في عام 1920، في كتاب الإرهاب والشيوعية، بحدوث «إبدال سلطة الطبقة العاملة بسلطة الحزب «، لكنه أضاف على الفور أنه «لا يوجد (...) في الحقيقة، أي ''إبدال''» لأن «الشيوعيين يعبرون عن المصالح الأساسية للطبقة العاملة» و»يصبحون الممثلين المعترف بهم للطبقة العاملة بأكملها».

الفوضى والخيارات الاقتصادية

في روسيا عانت بشدة من جراء الحرب العالمية، جلبت الثورة عاملَ فوضى إضافياً. فور انتهاء ثورة أكتوبر، اندلع نقاش بين مؤيدي مركزة الدولة للخيارات الاقتصادية والقطاعات الصناعية، وبين مؤيدي التسيير العمالي الذي يحدد السياسة الاقتصادية من القاعدة إلى القمة. رأت غالبية البلاشفة أن الخيار الثاني غير قابل للتطبيق، وأنه سيؤدي إلى تفاقم الفوضى، ففرض الخيار الأول نفسه اعتبارًا من ديسمبر 1917. وفي الأشهر التالية، فقدت لجان المصانع زخمها، قبل أن تندمج في النهاية في النقابات. وحرصًا على الكفاءة، وتجنب إضاعة الوقت في الجدل في ظل مواجهة حالة طارئة، تم بعد ذلك اعتماد مبدأ

«قيادة الرجل الواحد» (على عكس القيادة الجماعية) في المنشآت، على الرغم من احتجاجات أنصار الديمقراطية المباشرة وقطاعات أخرى.

كانت تلك أيضًا الفترة التي دعا فيها لينين إلى «رأسمالية الدولة»، وأكد أن تحقيقها في روسيا سيمثل تقدمًا. بل وأكثر من ذلك، سيتيح بلوغ هكذا مرحلة من التطور، مقترنًا بسلطة السوفييتات، بدء حقيقي لعملية بناء اشتراكي. أما المواقف التي طُرحت في كتاب الدولة والثورة، فتظل هدفًا، كما يقول، لكنها غير قابلة للتطبيق على الإطلاق في الوقت الراهن.

كان لينين، في الآن ذاته، بعيدًا كل البعد عن إضفاء الصبغة المثالية على الدولة التي يترأسها. فقد أكد، في مؤتمر السوفييتات الثامن، في ديسمبر 1920، قائلاً: « يتحدث الرفيق تروتسكي عن «دولة عمالية»، لكن هذا مفهوم مجرد! (...) في الواقع، دولتنا ليست دولة عمالية بل دولة عمالية-فلاحية، وهذا أول شيء (...) لكن هذا ليس كل شيء (...) دولتنا دولة عمالية مطبوعة بتشوه بيروقراطي».

عواقب الحرب الأهلية

بدأت الحرب الأهلية مع تمرد «الفيلق التشيكوسلوفاكي» في مايو 1918. وقد أذكتها القوى الإمبريالية بإرسال عشرات الآف الجنود لدعم الجيوش «البيضاء»، ولم تنتهِ هذه الحرب – بانتصار «الحمر»، مقابل تضحيات لا تُقدَّر – إلا في نوفمبر 1920. كانت الحرب العالمية الأولى قد أودت بحياة 3.3 مليون جندي ومواطن من الإمبراطورية الروسية، أما الثلاثون شهراً من الحرب الأهلية فقد رفعت هذا العدد إلى ما يقارب 10 ملايين.

تركت الحرب الأهلية البلاد مستنزفة، وطبقتها العاملة مفككة الأوصال. يصف إدوارد هاليت كار4 بعض آثارها على النحو التالي:»توقف إمداد النفط القادم من منطقة باكو والقوقاز من صيف عام 1918 حتى نهاية عام 1919 (...) وفي مايو 1919، لم تكن الصناعة تتلقى سوى 10% من كمية الوقود المعتاد. وكان البرد في شتاءي 1918-1919 و1919-1920، أكثر من الجوع، سببًا للمعاناة والعجز (...) من بين 000 70 فيرستة من خطوط سكك الحديد في روسيا الأوروبية، لم ينج من الضرر سوى 000 15 فيرستة (...) في نهاية عام 1919، عندما بلغت الأزمة ذروتها، كان أكثر من 60 % من القاطرات الـ000 16 خارج الخدمة (...) «.

لكن «ربما كانت أكثر علامات تدهور الصناعة لفتاً للنظر هي تشتت البروليتاريا الصناعية. في روسيا، حيث كان غالبية عمال المصانع من الفلاحين السابقين الذين نادراً ما قطعوا جميع روابطهم بالريف (...) لم تشكل الأزمات في المدن أو المصانع، أو الجوع، أو البطالة، أو الإضرابات عن العمل، مشكلة بطالة بالمعنى الغربي للكلمة، بل هجرة جماعية للعمال من المدن وعودة إلى وضعهم كفلاحين «. وتضاف هذه الظاهرة إلى عمليات التجنيد الجماعي في الجيش الأحمر، التي كان العمال الأكثر وعيًا أول المنخرطين فيها. علاوة على ذلك، يتوجه الذين يبقون في المصانع بانتظام إلى الريف للحصول على الطعام، مقابل منتجات صناعية تُقدَّم أحيانًا من قبل إدارات الشركات أو نقاباتها، لكنها غالبًا ما تكون مسروقة. كما أن العديد من العمال مرضى أو ضعفاء جدًّا بحيث لا يستطيعون الذهاب إلى أماكن عملهم. وفي عدد من الشركات، يقترب معدل التغيب عن العمل من 50 %.

ووفقًا أيضًا للبيانات التي جمعها كار، انخفض عدد العمال في الصناعة من ثلاثة ملايين في العام 1917 إلى 2.5 مليون في العام 1918، و1.48 مليون في 1920-1921، و1.24 مليون في 1921-1922. تضاءلت أعداد سكان المدن و»كلما كبرت المدينة، كان الانخفاض أوضح. فقدت بتروغراد 57.5% من سكانها في غضون ثلاث سنوات، وموسكو 44.5% «. وشهد الإنتاج انهياراً عاماً: في عام 1920، بلغ إنتاج خام الحديد 1,6% وإنتاج الحديد الزهر 2,4% من مستوى عام 1913؛ وبلغت هذه النسبة 41% بالنسبة للنفط و27% بالنسبة للفحم. «أظهر حساب للقيمة بالروبل قبل الحرب أن إنتاج السلع المصنعة لم يصل في عام 1920 سوى إلى 12,9% من قيمة عام 1913، وإنتاج المنتجات شبه المصنعة إلى 13,6% «.

يتعلق هذا كله في المقام الأول بالطبقة الاجتماعية التي أشعلت الثورة وقادتها، مضفيةً عليها

ديناميتها الاشتراكية. يلاحظ إدوارد هاليت كار: « نشأت المفارقة من أن إقامة «ديكتاتورية البروليتاريا» تبعها انخفاض ملحوظ في الاقتصاد، سواء من حيث العدد أو من حيث الثقل، للطبقة التي مورست هذه الديكتاتورية باسمها «.

قمع وتبقرط

في 20 يونيو 1918، اغتيل فولودارسكي، أحد القادة البلاشفة الأكثر شعبية في بتروغراد، على يد يمينيين من الحزب الاشتراكي الثوري. وفي 30 أغسطس، سقط أوريستكي ضحية رصاصهم، وفي اليوم نفسه، أصيب لينين بجروح خطيرة. وعلى غرار الثورة الفرنسية قبل 125 عامًا، قررت اللجنة التنفيذية للسوفييتات حينها الرد على «الإرهاب الأبيض» بـ»الإرهاب الأحمر».

وقد ارتفع عدد أفراد «تشيكا»، وهي هيئة مخصصة «لقمع الثورة المضادة والتخريب» تأسست في ديسمبر العام 1917، إلى 40 ألف عضو في نهاية العام 1918 (وإلى أكثر من ذلك بكثير في نهاية الحرب الأهلية). وكانت هذه الهيئة تعتقل وتعدم دون محاكمة، ودون أن تخضع لأي مساءلة من قبل السلطات المحلية. واستهدفت، إلى جانب المعادين للثورة النشطين، أعضاء البرجوازية بما هم طبقة، وكذلك اللاسلطويين (الأناركيين) ومناضلي التيارات الاشتراكية الأخرى. كانت إحدى مهام جهاز استخباراتها منذ البداية منع الإضرابات وقمعها (حيث كان قادتها يُفصلون من العمل أو يُسجنون أو يُرحلون)، وسرعان ما أصبح من مهامها مكافحة الانشقاقات في صفوف البلاشفة أنفسهم (حيث كان يتم في أغلب الأحيان انتزاع الفاعلين من أوساطهم وإرسالهم إلى أماكن أخرى بموجب نظام التعيينات – وبعد عام 1924، ستصبح الأمور أكثر خطورة).

كانت فترة «شيوعية الحرب» فترة خصاص وتقنين، ومصادرة قسرية في الريف، وحلول المدفوعات العينية والمقايضة محل التبادلات النقدية. وعلى خلفية الصراع الأساسي من أجل البقاء وتوحش المجتمع بشكل عام، أدت هذه الفترة إلى مركزية مفرطة للسلطة واتخاذ القرار السياسي، في حين كانت السوفييتات تتلاشى وكان جهاز الحزب الناشئ يميل بشكل متزايد إلى الاندماج مع جهاز الدولة.

وظهرت أولى التمايزات الاجتماعية بين قمة الحزب وقاعدته، سواء كانت شيوعية أو غير حزبية (كان النقاش حول «القمة والقاعدة» متواترا في 1920-1921) . ويحظى من يتولون المناصب بامتيازات، وإن كانت لا تزال محدودة جدًّا، فإنها تُستشعر بشكل أكبر في ظل انتشار الفقر وتفشي الفساد. ويستشهد سيمون بيراني5 بحالة أحد أعضاء اللجنة المركزية، أفيلي إينوكيدزه، الذي تلقى صندوقًا مكتوبًا عليه «معدات عسكرية» لكنه كان يحتوي في الواقع على الأرز والسكر، والتبغ، والنبيذ، والكونياك، وغيرها من المنتجات المعتبرة كماليات. وقد دفع ذلك «أحد أعضاء الجهاز النزهاء» إلى تقديم شكوى، لكن مكتب التنظيم التابع للجنة المركزية « أنقذ موقف إينوكيدزه بقبول عذره غير المعقول الذي مفاده أن النبيذ كان مخصصاً لمفوضية الصحة «.

كما كان لـ«شيوعية الحرب» آثار غير متوقعة على الصعيد الأيديولوجي. فقد رأينا أن ديكتاتورية الحزب أصبحت تُعتبر أمراً طبيعياً ومطابقة لديكتاتورية البروليتاريا. ويشير بيراني إلى أنه انتشرت أيضًا بين «الشيوعيين الحربيين»، في تلك الفترة، انتشرت فكرة أن المجتمع الجديد سيولد من يد الدولة الحازمة، التي تفرض المساواة الشيوعية وروح التضحية التي سادت خلال الحرب الأهلية؛ وكان أحد أكثر الأعمال شعبية بين المناضلين آنذاك هو رواية للكاتب الاشتراكي الأمريكي المؤيد للدولة إدوارد بيلامي، التي تصف «دولة مساواة منضبطة، يعتمد اقتصادها على خدمة العمل الشاملة والقرارات السياسية التي تتخذها هرمية من المسنين. كانت خيبة أمل كثير من هؤلاء الشيوعيين مروعة عندما استمرت الفوارق الاجتماعية في التزايد في ظل السياسة الاقتصادية الجديدة (NEP)، ما أدى إلى موجة استقالات وحالات انتحار.

منعطف العام 1921

كان الانهاك، في أعقاب الحرب الأهلية، هائلاً والاقتصاد برمته بحاجة إلى إعادة بناء. وتجلى الاستياء العام، في أوائل العام 1921، في الإضرابات العمالية في بتروغراد وموسكو، التي أعقبتها انتفاضة كرونشتاد

وقمعها على يد الجيش الأحمر6. فاختارت قيادة الحزب والدولة آنذاك التخلي عن «شيوعية الحرب» للانتقال إلى «السياسة الاقتصادية الجديدة»، التي استعاضت في الريف عن المصادرات القسرية بضريبة تصاعدية عينية، متسامحةً مع ظهور طبقة فلاحين ميسورين، وأتاحت في المدن سمحت حدود معينة الأنشطة الإنتاجية أو التجارية الخاصة. وسرعان ما استؤنف التبادل التجاري، وانتعش الإنتاج الزراعي والصناعي – وإن كان ذلك انطلاقاً من مستوى منخفض جداً.

ولكن ماذا عن النظام السياسي؟ هل يجب، أو هل يمكن، محاولة العودة إلى الديمقراطية العمالية في الفترة 1917-1918، بإحياء السوفييتات وإضفاء الشرعية على المجموعات أو الأحزاب العمالية التي لا تعارض السلطة البلشفية بالقوة؟ أم أنه يجب، أكثر من أي وقت مضى، الحفاظ على ديكتاتورية الحزب على المجتمع، بل وتعزيزها؟ في مارس 1921، اختار المؤتمر العاشر للحزب الطريق الثاني بحزم، بدفع من لينين (الذي ندد بـ«المعارضة العمالية» معتبرا إياها انحرافا «بورجوازيا صغيرا «، «نقابيا ولاسلطويا»، بمواقف «غير مطابقة» للانتماء للحزب).

وفضلا عن ذلك، صوّت هذا المؤتمر بالإجماع تقريبًا على اقتراح، قدمه لينين أيضًا، ينص على حظر التيارات والتكتلات تحت طائلة الطرد. وأُعطيت تأكيدات شفوية بأن هذا الإجراء «مؤقت» وأن الديمقراطية الداخلية ستُحسَّن. لكن الوعود بقيت حبراً على ورق، وأصبح «المؤقت» نهائيًا، وهكذا اختفى آخر فضاء للديمقراطية البروليتارية داخل الحركة البلشفية.

وتعززت البيروقراطية «الشيوعية» وبدأت تتشكل في فئة اجتماعية محددة، لها مصالحها وأيديولوجيتها الخاصة. وأثنتخب ستالين، في المؤتمر الحادي عشر المنعقد في مارس 1922، أمينًا عامًا. وبدأت عمليات الاعتقال وإصدار أحكام السجن تطال المنشقين البلاشفيين: حزب للعمال والفلاحين الاشتراكي الذي أسسه بانيوشكين في موسكو، ومجموعة ميسنيكوف العمالية، ومجموعة «الحقيقة العمالية» المستوحاة من بوغدانوف.

بعد العام 1924، سيرورة لا مفر منها

أصيب لينين، في 26 مايو 1922، بنوبة أولى. واكتشف بفزع، في أثناء فترة نقاهته، وهو معزول ومخدوع من قبل ستالين، مدى اتساع سيرورة التبقرط، واقترح على تروتسكي تشكيل كتلة ضد الجهاز. وخاض، رغم إصابته بنوبة ثانية في 14 ديسمبر، معركة ضد ستالين من خلال إملاء ما سيُعرف بـ«وصيته». لكن في 9 مارس 1923، أصيب بنوبة ثالثة، أبعدته نهائيًا عن أي حياة سياسية.

في أكتوبر، مع اندلاع الأزمة الأولى لسياسة الاقتصاد الجديد (NEP)، دعا تروتسكي، من خلال نصوص ومقالات تدعو إلى «مسار جديد»، و46 من القادة والكوادر في بيان موجه إلى المكتب السياسي، إلى التنديد بالبيروقراطية التي أصابت الحزب وأساليب قيادته (إنها بحسب لـ«الـ46»، «نظام ديكتاتورية تكتلية تشكل موضوعياً بعد المؤتمر العاشر [و] استمر»)، مقترحين في الآن ذاته سياسة تصنيع وتخطيط، بما هي السبيل الوحيد لتقوية الطبقة العاملة. لكن هذه المعارضة هُزمت هزيمة نكراء في المؤتمر الثالث عشر في يناير ثم في المؤتمر الثالث عشر في مايو 1924. أما لينين، فقد توفي في 21 يناير.

أطلق ستالين، في متم ديسمبر، شعار «الاشتراكية في بلد واحد»، الذي تبنّاه المؤتمر الرابع عشر بعد عام واحد ورفع شأنه إلى مرتبة نظرية. ومنذئذ سارت عملية تصفية على ما تبقى من تقاليد البلشفية، وما رافقها من توطيد الحزب الستاليني، قدماً بلا هوادة.

أسباب الفشل

ثمة بالطبع أسباب متعددة، لكن يجب التأكيد على عاملين أساسيين.

على عكس تروتسكي، كان لينين يعتبر ، منذ أمد بعيد، أنه من المستحيل أن تجري ثورة في روسيا على أسس اشتراكية منذ البداية: فتخلف البلد، وطابعه أغلبيته الفلاحي، وضعف عدد البروليتاريا الصناعية، لم يكن يتيح ذلك. وكانت الحرب العالمية هي التي جعلته يغير رأيه: فالمذبحة الإمبريالية فتحت في

جميع أنحاء القارة حقبة من «اقتراب الثورة»، ومنذ ذلك الحين، وبسبب ظروف روسيا الخاصة، كان من الممكن أن تندلع الثورة الاشتراكية فيها قبل أن تصل إلى البلدان الأوروبية الأخرى، ولا سيما الأكثر تقدماً، حيث سيتيح انتصار البروليتاريا بدوره ترسيخ المكاسب الأولى التي تحققت في الإمبراطورية القيصرية السابقة وتطويرها

تطرح تصريحات وتحليلات لا حصر لها لينين، في مراحل مختلفة من المسار الثوري، هذه المسألة. فلنتذكر على سبيل التمثيل خاتمة خطابه في 3 أبريل 1917، عند عودته إلى بتروغراد: «في أي لحظة، كل يوم، يمكننا أن نشهد انهيار الإمبريالية الأوروبية برمتها. لقد شكلت الثورة الروسية التي حققتموها بداية ذلك ووضعت أسس عصر جديد. تحيا الثورة الاشتراكية العالمية!» أو في عام 1918، بشأن استيلاء البلاشفة على السلطة: «لم نكن نحن من أردنا ذلك، بل الظروف هي التي فرضته. لكن علينا أن نبقى في مواقعنا حتى يصل حليفنا، البروليتاريا العالمية».

إذن، يتمثل أول أسباب الفشل في روسيا في فشل الثورة الأوروبية. ومع ذلك، لم يكن شيء مكتوبًا سلفًا. في ألمانيا على وجه الخصوص، كان العامل الذاتي قاصرا ثلاث مرات: في يناير 1919 بسبب النزعة العفوية، ونقص الاستعداد والتنظيم؛ في مارس 1921 بسبب المغامرة اليسارية التي روجت لها قيادة الأممية بقيادة زينوفييف وبيلا كون؛ وفي أكتوبر 1923، مرة أخرى بسبب الأممية الشيوعية، ولكن لأسباب معاكسة لما كان في عام 1921 — هذه المرة كان السبب رفض خوض المعركة، مدفوعًا بنزعة المحافظة البيروقراطية المتزايدة.

ومع ذلك، جلي أن صعود البيروقراطية قد يسرته جملة أخطاء وهفوات ارتكبتها القيادة الثورية. فقد اعتبرت هذه القيادة أن «النزعة البيروقراطية» لم تكن نتاجًا لمصالح مادية بل لقصور ثقافي، و/أو أنها تعكس ضغط الطبقات المهيمنة السابقة وبقايا جهازه دولتها. لكن الثورة المضادة نشأت من داخل النخبة الحاكمة الجديدة نفسها. كانت هذه الظاهرة غير متوقعة إلى حد كبير آنذاك، لكن على الثوريين اليوم أن يستخلصوا دروسها.

1. 6 نوفمبر وفقًا للتقويم «اليولي» القديم الذي كان ساريًا آنذاك، والذي يتأخر بثلاثة عشر يومًا عن التقويم «الغريغوري» المستخدم في معظم البلدان، والذي اعتمدته روسيا في 14/1 فبراير من العام التالي.

2. أُعيد نشر نصوص أعداده الأربعة في عام 2011 في كتاب أصدره التجمع سمولني Smolny. 3 «أطروحات حول الوضع الراهن»، «كومونست» العدد 1 (أبريل 1918).

3. «أطروحات حول الوضع الراهن»، «كومونست» العدد 1 (أبريل 1918).

4. في La révolution bolchevique », tome 2 « L’ordre économique », Les Editions de Minuit, 1974 (الفصل «شيوعية الحرب»).

5. في دراسته الممتازة:

Soviet workers and the new – 24-The Russian Revolution in Retreat, 1920 » Les ouvriers – 24-communist elite » (La retraite de la révolution russe, 1920 soviétiques et la nouvelle élite communiste), Routledge, Londres/New York, 2008.

6. تستحيل معالجة هذه المسألة المعقدة بشكل خاص في الإطار المحدود لهذه المقالة.

المصدر: https://lanticapitaliste.org/opinions/histoire/1917--1924-apogee-et-declin-de-la-revolution

مراجعة الترجمة الآلية: جريدة المناضل-ة

الاستقلال الطبقي والنضال من أجل السلطة في الثورة الروسية

ليون كريميو Léon Crémieux

كانت مسائل الحزب والدولة والاستراتيجية الثورية دوما موضوع سجالات كبيرة بين الماركسيين، بوجه خاص في العشرين عامًا الأولى من القرن العشرين داخل الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية.

منذ أولى سنوات الأولى القرن العشرين، كانت مسألتان مهمتان في صميم نقاشات الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية: مسائل تنظيم الحزب، لا سيما في أعقاب صدور كتاب لينين «ما العمل؟» عام 1902، ثم في مناقشات المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي (POSDR) عام 1903، التي أدت إلى أول انقسام في الحزب بين المناشفة والبلاشفة. يرتبط تصور الحزب، عند لينين، بتحليل المجتمع الروسي ومهام الماركسيين الثوريين: دعم البرجوازية الديمقراطية أم عمل الشيوعيين المستقل من أجل الإطاحة الثورية، ووشوك هذه الأزمة الثورية. هذه المناقشات هي التي أدت ليس فقط إلى انقسام الحزب، بل أيضًا إلى نقاشات متبادلة بين لينين وتروتسكي على وجه الخصوص، اللذين كانا يشتركان نفس الشاغل، من الناحية الجوهرية، ازاء المناشفة: توحيد الطليعة العمالية في حزب مركزي وديمقراطي، يعمل بنحو نضالي داخل صفوف البروليتاريا، كأداة لاستقلال الطبقة في مواجهة «راهنية الثورة» من أجل الإعداد لإنجاح الثورة البروليتارية. وقد تشكلت في ذلك الوقت مواقف نظرية وأطر تحليلية لا يزال الكثير منها صالحًا حتى اليوم بالنسبة للماركسيين الثوريين، برغم التغير العميق الذي طرأ على العديد من المعطيات.

عندما اندلعت الثورة الروسية في فبراير 1917، ظهرت في آن واحد الأدلة الواقعية على فعالية بناء التكتل البلشفي منذ عام 1912، وفشل سياسة المناشفة، وفي الآن ذاته تأكيد الأطروحات التي عرضها تروتسكي منذ عام 1902 والتي تحدد طابع الثورة البروليتاري في إطار الثورة الدائمة. في عام 1917، عادت جميع المسائل التي كانت مطروحة لدى الماركسيين منذ « البروفة العامة» لعام 1905.

التصورات الثلاثة للثورة الروسية

لخص ليون تروتسكي المواقف المختلفة السائدة عشية العام 1905 في روسيا، ولا سيما موقف المناشفة، وموقف لينين، وموقفه هو: « يمكن تلخيص موقف المناشفة ازاء الثورة على النحو التالي: لا يمكن تصور انتصار الثورة البرجوازية الروسية إلا تحت قيادة البرجوازية الليبرالية، ويجب أن تسلم السلطة لهذه الاخيرة. وسيتيح النظام الديمقراطي عندئذٍ للبروليتاريا الروسية اللحاق بإخوانها [...] في الغرب على طريق النضال من أجل الاشتراكية بفرص نجاح أكبر بكثير مما كانت عليه من قبل «1. كان المناشفة يعتقدون على وجه الخصوص أن الفلاحين سيدعمون البرجوازية من أجل تنفيذ برنامج إصلاح زراعي، وإلغاء الملكية الكبيرة، وإرساء الحقوق الديمقراطية. لكن إلغاء نظام القنانة في العام 1861 أدى في المقام الأول إلى ظهور طبقة صغيرة من الفلاحين الأغنياء المصدرين، وكتلة كبيرة من الفلاحين المبلترين يعيشون على قطع صغيرة من الأرض أو بلا أرض. وقد تفاقم ذلك كله بسبب إصلاحات ستوليبين في العام 1906 التي وضعت الأراضي المشاعية تحت تصرف الفلاحين الأثرياء. وبعيدًا عن خلق طبقة فلاحية برجوازية صغيرة عريضة، أدى تحرر الفلاحين المتأخر من نظام القنانة، مقترنًا ببدايات الرأسمالية، إلى إبطال هذا التحالف المفترض بين البرجوازية والفلاحين (كما كان تحقق في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر). وبالمثل، أبطل الرؤية المثالية للمجتمعات الفلاحية الكبيرة المتسامية على المرحلة الرأسمالية. يلخص تروتسكي موقف لينين على النحو التالي: « البرجوازية المتخلفة في روسيا عاجزة عن إتمام ثورتها الخاصة. إن الانتصار الكامل للثورة عبر «ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية» سيطهر البلد من بقايا العصور الوسطى، وسيضفي على تطور الرأسمالية الروسية إيقاع الرأسمالية الأمريكية، وسيعزز البروليتاريا في المدن والريف، وسيفتح آفاقاً واسعة للنضال من أجل الاشتراكية.و من ناحية أخرى سيعطي انتصار الثورة الروسية دفعة قوية للثورة الاشتراكية في

الغرب، [...]كما سيتيح للبروليتاريا الروسية الوصول إلى الظفر بالسلطة «2. وأخيرًا، يشرح تروتسكي موقفه الخاص، وهو موقف الثورة الدائمة»: لا يمكن تصور الانتصار الكامل للثورة الديمقراطية في روسيا إلا في شكل ديكتاتورية البروليتاريا المدعومة من الفلاحين. ديكتاتورية البروليتاريا، التي ستضع حتماً على جدول الأعمال ليس فقط المهام الديمقراطية بل المهام الاشتراكية أيضاً، ستعطي في الوقت نفسه دفعة للثورة الاشتراكية الدولية. إن انتصار البروليتاريا في الغرب وحده ما سيضمن لروسيا عدم حدوث ردة برجوازية، وسيكفل لها إمكان إتمام البناء الاشتراكي «3. ويخلص تروتسكي إلى أن «ثمة تجانس بين التصورين الأخيرين في تناقضهما، غير القابل للتوفيق، مع المنظور الليبرالي-المنشفي، وفي الاختلاف الجوهري تمامًا بينهما حول مسألة الطابع الاجتماعي ومهام «الديكتاتورية» التي ستنشأ عن الثورة. [...] منذ بداية عام 1917، اضطر لينين، في صراع مباشر مع أقدم كوادر الحزب، إلى تغيير المنظور «.4

من عام 1912 إلى عام 1917، تطور الحزب البلشفي كحزب مستقل، برغم استمرار العديد من الجسور بين التكتلات المختلفة، سواء في الشتات الروسي أو داخل روسيا. يصف بول لو بلان، المناضل والمؤرخ الأمريكي،5 تطور أسس الحزب البرنامجية وتطوره النضالي على النحو التالي: بعد عام 1907، عانى الحزب في آن واحد من تراجع النضالات ومن القمع الشرس لحكومة ستوليبين التي كانت تهدف أيضًا إلى تهدئة الغضب الاجتماعي بمهاجمة بقايا النظام الإقطاعي. واستفادت النوى النشطة أيضًا من التطور الصناعي السريع في روسيا، فتوسعت حول ثلاثة شعارات: يوم العمل من ثماني ساعات، ومصادرة الممتلكات العقارية، و الجمهورية الديمقراطية. يذكر مؤرخان، أحدهما ألماني والآخر بريطاني، هما ديتريش جاير وروبرت سيرفيس، اللذان استشهد بهما لو بلان، التطور الكبير جدًّا للإضرابات العمالية قبل عام 1914، وطابعها الجذري، حيث كانت تتبنى شعارات البلاشفة وتشهد على تأثير الحزب النضالي. ووفقًا لمكتب الأممية الثانية، في عام 1914، كان توزيع الأسبوعية البلشفية برافدا يبلغ 240 ألف نسخة، بينما كان توزيع لوتش، الأسبوعية المنشفيّة، يبلغ 96 ألف نسخة.

ثورة فبراير 1917: ثورة برجوازية؟

في فبراير 1917، اندلعت الثورة الروسية الأولى. في 23 فبراير (8 مارس، حسب التقويم الغريغوري)، اليوم العالمي للمرأة في بتروغراد6، أضربت عاملات النسيج احتجاجًا على ظروف عملهن وأجورهن ونقص الغذاء. عارضت لجنة منطقة فيبورغ المشتركة بين العمال (حي شغيلة الصناعة الكبير في بتروغراد)، التي يقودها جناح بلشفي جذري، هذا الإضراب. وتضامناً معهن، انضمت إليهن جماهير من العمال البلاشفة والمناشفة والاشتراكيين الثوريين. وبلغ عدد المضربين في ذلك اليوم 90 ألفاً، رجالاً ونساءً، من أكبر الشركات في فيبورغ وبتروغراد. وفي اليوم التالي، أضرب نصف العمال الصناعيين. تم استبعاد شعار «الخبز» أو طمسه بعبارات أخرى مثل «تسقط الاتوقراطية» و»تسقط الحرب». في غضون يومين، انتشر الإضراب على نطاق واسع، وتآخ قوات القوزاق مع المضربين في مواجهة الشرطة. ولم تصدر لجنة الحزب البلشفي منشورًا يدعو إلى الإضراب العام إلا في 25 من الشهر، لكن «كان الإضراب العام قد تحول بالفعل إلى انتفاضة مسلحة، والقيادة تراقب من أعلى، وتتردد، وتؤخر، أي أنها لا تقود، بل تتبع الحركة»7. في اليوم التالي، أصبحت الأحياء العمالية خاضعة بالكامل لسيطرة المضربين، وفي يوم 27، رفعت الألوية أسلحتها في الهواء وانضمت إلى الانتفاضة. وفي ذلك اليوم، فُتحت السجون واحتل قصر توريد، مقر البرلمان (الدوما). وأُنشئت «أركان حرب الانتفاضة». في اليومين التاليين، امتدت الثورة إلى موسكو والمدن الرئيسية في الإمبراطورية الروسية. طرح تروتسكي السؤال التالي: «من الذي قاد ثورة فبراير؟ [...] العمال الواعون والمتمرسون الذين، قبل كل شيء، تلقوا تدريبهم في مدرسة حزب لينين»8.

واستنادًا إلى تجربة عام 1905، أنشأ الثوريون مساء يوم 27 فبراير مجلسًا سوفيتيًا يضم ممثلين عن جميع الأحزاب الاشتراكية. تجدر الإشارة إلى أن العاملات، اللواتي كنّ محرك هذه الثورة وفي الخطوط الأمامية لفرض التآخي مع الجنود، لم يكنّ ممثلات فيه. وفي خضم الحماس، أصبح هذا المجلس «سوفييتًا» للنواب من العمال والجنود. وسرعان ما اتخذ قرارات ونظم إمدادات المدينة، واحتلال بنك الإمبراطورية ودار سك العملة. وتدريجيًّا، ركّزت السلطات في يدها. لكن تروتسكي يلاحظ: «بينما

كانت السلطة الثورية تتشكل بسرعة خيالية، كان الاشتراكيون الذين كانوا على رأس السوفييت يلقون نظرات قلق حولهم، باحثين عن «زعيم» حقيقي. كانوا يعتبرون أنه من الطبيعي تمامًا أن تنتقل السلطة إلى البرجوازية»9. وعندما قام نواب «دوما الدولة» — التي حلتها حكومة القيصر في صباح ذلك اليوم ذاته — بتشكيل لجنة «دوما الإمبراطورية» في خطوة يائسة لإنقاذ القيصر والسلطة البرجوازية، أعلن المنشفي سوخانوف، عضو السوفييت، بارتياح: « يجب ألا تكون السلطة التي ستحل محل النظام القيصري إلا برجوازية». كان ذلك تطبيقًا مثيرًا للشفقة للمناقشات والتوجه الذي تبنّاه المناشفة منذ العام 1903.

ماذا فعل البلاشفة الحاضرون في اللجنة التنفيذية للسوفييت؟ يؤكد سوخانوف في مذكراته أنه في اجتماع الأول من مارس، تركز النقاش فقط على شروط انتقال السلطة: لم يرتفع صوت واحد ضد تشكيل حكومة برجوازية بحد ذاتها، على الرغم من وجود أحد عشر بلشفيًا ومتعاطفًا معهم في اللجنة التنفيذية، من أصل تسعة وثلاثين عضوًا، من بينهم ثلاثة أعضاء في المكتب التنفيذي. وقد تعارضت هذه السلبية، التي امتدت إلى المندوبين البلاشفة في السوفييت، مع ردود فعل المناضلين والعمال في اللجنة البلشفية في فيبورغ، التي اعتمدت في اليوم التالي نفسه إعلانًا يدعو إلى استيلاء السوفييت على السلطة. وعلى إثر ذلك، حظي هذا القرار بتأييد واسع في الجمعيات العمالية، لكنه قوبل بالرفض من قبل لجنة بتروغراد. وكتبت صحيفة برافدا في عنوانها: «المهمة الأساسية هي [...] إقامة نظام جمهوري ديمقراطي».

من أجل الاستقلال الطبقي

كان لينين في ذلك الوقت في منفى قسري في زريخ، حيث كان يصدر صحيفة «الاشتراكي الديمقراطي»، بمساعدة زينوفييف. وبسبب اختلافه التام مع الخط الذي كان يتبعه الحزب في بتروغراد، بدأ في 7 مارس بإرسال «رسائله من بعيد» إلى صحيفة برافدا. تستهدف الرسالة الأولى بشكل أساسي الطبيعة الإمبريالية للحرب والرفض الفوري لسياسة ميليوكوف، وزير خارجية الحكومة، التي تهدف إلى إقحام روسيا بشكل أقوى في الحرب الإمبريالية. ثم يشرح بالتفصيل التحالف العميق بين القيصريين المهزومين وحكومة ميليوكوف. ثم يهاجم بشدة «كل من يدعي أن على العمال دعم الحكومة الجديدة من أجل محاربة الرجعية القيصرية، فهو يخون [...] قضية البروليتاريا»10. ورغم أن المرحلة الحالية شهدت تشكيل حكومة برجوازية، فإنه يحث على فضح هذه الحكومة وتحالفها مع القيصرية والبرجوازية الإمبريالية. وينتقد دعوة مجلس بتروغراد إلى دعم الحكومة الجديدة. مستعيداً الفكرة التي طرحها المجلس بشأن تشكيل لجنة مراقبة، يؤيد إنشاء ميليشيا عمالية لمراقبة الحكومة المؤقتة من قبل العمال والجنود. « الميليشيا العمالية الممتدة لتشمل الشعب بأسره هي الشعار الصحيح في هذه اللحظة.» يرى لينين أن المرحلة الحالية تتطلب التنظيم المستقل للبروليتاريا في السوفييتات « أجهزة الانتفاضة، أجهزة السلطة الثورية «. دعا، استنادا إلى تجربة كومونة باريس وتجربة العام 1905، إلى القضاء على الدولة وإلى أن تشكل البروليتاريا بنفسها أجهزة سلطتها، رافضًا إعادة تشكيل الشرطة القيصرية. وأخيرًا، وفي مواجهة الحرب الإمبريالية، ندد بالمعاهدات السرية التي وقعتها روسيا مع فرنسا وانجلترا، في الوقت الذي تواصل فيه حكومة غوتشوف-ميليوكوف اتباع هذه السياسة. وفي رسالته الأخيرة، يوضح لينين بالتفصيل المهام اللازمة للتحضير لانتقال السلطة من أيدي حكومة الرأسماليين إلى أيدي حكومة العمال والفلاحين. لذا، فقد فصل برنامج تفكيك آلة الدولة، وإبدالها بأجهزة الإدارة البروليتارية، ومكافحة السياسة الإمبريالية، وتنفيذ مصادرة جميع الممتلكات العقارية الكبيرة، كل ذلك في إطار سياسة انتقال نحو الاشتراكية.

رسالة واحدة فقط، من بين جميع رسائله، نُشرت ، وهي الأولى، في روسيا في صحيفة برافدا. وفي غضون ذلك، في 17 مارس، أرسل أيضًا رسالة إلى كامينيف الذي كان يقود، مع ستالين، الحزب البلشفي في روسيا. كان لينين قد علم أن الحكومة الروسية، بدعم من السوفييت، كانت تصور الحرب الإمبريالية على أنها «حرب دفاع وطني». كتب لينين إلى كامينيف: « أفضل الانشقاق الفوري عن أي شخص في حزبنا على الاستسلام للاشتراكية الوطنية «11

وعند عودته إلى روسيا، نشر لينين، باسمه الخاص، في صحيفة برافدا في 7 أبريل، أطروحات أبريل. وقد قُدمت هذه الأطروحات في ذلك التاريخ إلى مؤتمر الحزب، حيث قوبلت بعداء عام، بما في ذلك من جانب زينوفييف. وأدرج كامينيف ملاحظة مع نشرها مفادها أنها لا تعكس رأي الحزب. وتتوافق أطروحات لينين مع المواقف التي دافع عنها تروتسكي بشأن الثورة الدائمة12. ويصف الوضع بأنه انتقالي ويجب أن يؤدي إلى تسليم السلطة للبروليتاريا والطبقات الفقيرة من الفلاحين. ويدافع فيها عن التآخي على الجبهة، ويرى أنه يجب ألا يمنح أي دعم للحكومة المؤقتة، ويشرح أن سوفييتات نواب العمال هي الشكل الوحيد الممكن للحكومة الثورية، من أجل جمهورية سوفييتات نواب العمال والعمال الزراعيين والفلاحين. ويطالب بدمج جميع بنوك البلد في بنك وطني واحد يخضع لسيطرة السوفييتات، وأخيرًا بأخذ زمام المبادرة لإنشاء منظمة ثورية أممية.

ولكي يتنبنى الحزب المنعطف الذي تمثله أطروحات أبريل، كان على لينين أن يبذل جهدًا صبورًا حتى انعقاد المؤتمر الروسي العام بعد عشرة أيام؛ وهو المؤتمر الذي جمع مندوبي القاعدة. وسيكون هذا الخط الجديد للحزب البلشفي هو الطريق الظافر نحو ثورة أكتوبر 1917.

· 1. ليون تروتسكي، «ثلاثة مفاهيم للثورة الروسية»، أغسطس 1939.

· 2.المرجع نفسه.

· 3.المرجع نفسه.

· 4.المرجع نفسه.

· 5.نورمان جيراس وبول لو بلان، «الماركسية والحزب 1903-1917 (لينين، لوكسمبورغ، تروتسكي)»، دفاتر الدراسة والبحث الصادرة عن المعهد الدولي للبحث والتكوين (IIRE) العدد 14، 1990.

· 6.تغير اسم سان بطرسبرغ عدة مرات. فقد أُعيدت تسميتها بـ«بتروغراد» من عام 1914 إلى عام 1924، ثم «لينينغراد» من عام 1924 إلى عام 1991، قبل أن تستعيد اسمها الأصلي عقب استفتاء أُجري في عام 1991. وقد اخترنا استخدام اسم «بتروغراد» في جميع أجزاء المقال.

· 7.ليون تروتسكي، «تاريخ الثورة الروسية». الجزء 1، 1930

· 8.المرجع نفسه.

· 9.المرجع نفسه.

· 10. لينين، «رسائل من بعيد»، 1917.

· 11.مقتبس عن ليون تروتسكي في «تاريخ الثورة الروسية»، المجلد 1، 1930.

· 12. ليون تروتسكي، «الحصيلة والآفاق»، 195.

المصدر:

https://lanticapitaliste.org/actualite/strategie/lindependance-de-classe-et-la-lutte-pour-le-pouvoir-dans-la-revolution-russe

ترجمة المناضل-ة

أكتوبر 1917: النساء في الثورة

بقلم ريجين فينون Régine Vinon

هزت الثورة الروسية، على غرار الثورات كلها، أركان المجتمع من أساسه. وجرى قلب العلاقات الاجتماعية بنحو جذري: العلاقات بين الطبقات، بطبيعة الحال، وكذلك العلاقات بين الرجال والنساء. وقد أدت النساء، كما هو الحال غالبًا في لحظات التاريخ الحاسمة، دورًا رئيسيًّا. ومع ذلك، نادرًا ما يُشار إليهن، لأن التاريخ لا يزال في كثير من الأحيان يقتصر على «الرجال العظماء»...

أدت النساء دورًا في جميع مراحل النضال ضد النظام القيصري: محو الأمية في الريف على يد شابات برجوازيات تأثرن بوضع الفلاحين، و زرع القنابل في حقبة التوجه العدمي، والمناضلات الاشتراكيات والشيوعيات. وقد شاركت العديد منهن مشاركة تامة في التيار الهائل الذي اجتاح في العام 1917 القيصر ونظامه. وتعد شخصيات مثل ألكسندرا كولونتاي، أول وزيرة في العالم، وإينيسا أرماند، أو لاريسا ريزنر، من أشهر هؤلاء المناضلات، لكنهن لسن استثناءات بأي حال من الأحوال. فخلفهن، كان ثمة الآلاف غيرهن. « يتوقف نجاح أي ثورة على مستوى مشاركة النساء»، كما قال لينين. وكان هذا الحال في روسيا، حيث بذلت الثورة قصارى جهدها لتغيير حياة النساء بسن تشريعات كانت الأكثر تقدمًا في العالم الغربي بأسره آنذاك. ولم يتم تحقيق إنجازات مثل الحق في الإجهاض في فرنسا إلا... بعد 58 عامًا من الثورة الروسية !

وضع النساء في مطلع القرن العشرين

فيما كان وضع العمال والفلاحين مأساوياً في البلد، كانت النساء الروسيات يعانين فضلا عن ذلك من وطأة مجتمع ريفي ذكوري، حكمه نظام القنانة لقرون، ولم يُلغَ إلا في العام 1861. وكانت الكنيسة الأرثوذكسية، ذات النفوذ الكبير، تعتبرهن كائنات أدنى. كان الأمية تصيب ثلثيهن، وكان مصيرهن داخل الأسرة نفسها مروّعاً: فقد كان ضرب النساء أمراً مقبولاً تماماً وموصىً به، حيث كان القانون يجيزه صراحةً. ومن الرموز التي تقول الكثير، أن التقاليد كانت تقضي بأن يسلم الأب السوط إلى صهره يوم الزفاف.

وفي المصانع، التي شهدت تدفقًا للعمالة النسائية في مطلع القرن العشرين، كان مصير النساء مزريًّا بشكل خاص: «لا يمكن للمرأة الحامل أن تترك عملها إلا عندما تشعر بأول انقباضات المخاض، وعليها العودة إلى العمل في اليوم التالي للوضع، وإلا تعرضت لغرامة أو للفصل من العمل. «1 وبالطبع لم تكن ثمة إجازة أمومة، وكانت 30 ألف امرأة يمتن كل عام أثناء الوضع، دون أي رعاية طبية. في العام 1894، عقب إضرابات، وعدت الحكومة القيصرية بإتاحة قابلة في جميع الشركات التي تضم أكثر من مائة امرأة، بالإضافة إلى مكان للولادة داخل المصنع، ولكن مثل العديد من القوانين الأخرى، تم التحايل على هذا القانون من قبل أرباب العمل. تتقاضى النساء في المتوسط أجرًا أقل بنسبة 50% من الرجال، ويعملن من 11 إلى 12 ساعة يوميًا، وغالبًا ما يعملن أكثر من ذلك بكثير. وستشارك العاملات بشكل متزايد في النضالات النقابية والسياسية: إبان الإضرابات الاقتصادية التي جرت في سان بطرسبرغ بين العامين 1894 و1896، وفي أثناء إضراب قطاع النسيج التاريخي في العام 1896، أضربت العاملات والعمال معًا بالإجماع. أجبر أسبوع من الإضراب الحكومة على تحديد مدة يوم العمل بـ 11 ساعة ونصف.

برزت النساء لأول مرة، في منتصف القرن التاسع عشر، في الطبقات العليا من المجتمع. يقدم كتاب جان-جاك ماري، «النساء في الثورة الروسية»، صورة لفتيات منتفضات على التفاوتات الهائلة في ظروف المعيشة، كنّ يختنقن تحت وطأة النظام الأبوي، وتركن راحة حياتهنّ المترفة ليكرسن أنفسهنّ، بطريقة أو بأخرى، لتغيير المجتمع أو على الأقل تحسينه. إذ اتجه بعضهن إلى الريف في محاولة لتعليم

الفلاحين القراءة والكتابة، بينما أصبحت أخريات مفجرات قنابل، مثل فيرا فيغنر، التي اغتالت القيصر ألكسندر الثاني عام 1881 وقضت 20 عامًا في سجن الأشغال الشاقة، أو صوفيا بيروفسكايا، التي نظمت هذا الاغتيال وكانت أول امرأة روسية تُشنق لأسباب سياسية. أو حتى فيرا زاسوليتش، التي أطلقت النار على محافظ بطرسبرغ عام 1878.

إلا أن انخراط النساء في النضال السياسي والاجتماعي ترسخ ابتداءً من ثورة عام 1905.

1905، الانعطاف

في 9 يناير، المعروف أيضًا باسم «الأحد الأحمر»، أطلق الجيش النار على حشد هائل من المتظاهرين السلميين، من بينهم العديد من النساء والأطفال، الذين جاءوا لتسليم عريضة إلى العاهل. وكانت المظاهرة، التي اتخذت شكل موكب، تطالب القيصر بأدب بإعادة توظيف المناضلين العماليين المفصولين بسبب الإضراب، فضلاً عن تحسين ظروف العمل، وتوزيع الأراضي على الفلاحين، وإلغاء الرقابة. خلف إطلاق النار آلاف القتلى والجرحى على أرصفة الشوارع. ساهم هذا القمع الأعمى بشكل كبير في توعية الغالبية العظمى من الناس، وشكّل بداية ثورة أكتوبر 1905، التي شاركت فيها النساء بأعداد هائلة.

في السنوات التالية، ظهر التمييز بين النسويات البرجوازيات والنسويات العاملات. لم تكن للنساء، بغض النظر عن وضعهن الاجتماعي، أي حقوق، وكانت النساء من الأوساط المثقفة والمتميزة عازمات على تغيير هذا الوضع. ووجدت مطالبهن صدىً لدى جميع شرائح النساء. ولهذا السبب، ناضل الاشتراكيون الديمقراطيون، سواء المناشفة أو البلاشفة، بنشاط لتوجيه جزء من العمل الدعائي الاشتراكي نحو النساء. ولا بد من الإشارة إلى أنه كان ثمة تأخر يجب تداركه، لأن مسألة تفاوت حقوق النساء والرجال كانت قد أُهملت لفترة طويلة داخل منظمات الحركة العمالية، التي كانت بالغة الطابع الذكوري ، بل إنها كانت تنظر في البداية بعين الريبة الشديدة إلى تدفق العمالات إلى المصانع بأعداد كبيرة — وهي ظاهرة شائعة في جميع أنحاء العالم.

في العام 1907، تأسست «جمعية المساعدة المتبادلة للعمالات»، التي كُلفت بإقناعهن بالانضمام إلى الأحزاب والنقابات العمالية. وشاركت الجمعية في المؤتمر الدولي للنساء الاشتراكيات في شتوتغارت، الذي كان مسرحًا لمواجهة مفتوحة بين المواقف والأساليب السياسية المختلفة. نجحت كلارا زيتكين2، إحدى رموز الحركة النسوية الماركسية الألمانية، في تمرير قرار يؤكد أن على الأحزاب الاشتراكية التابعة للأممية الثانية واجب النضال من أجل حق المرأة في التصويت، موضحةً أن حق التصويت ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة لتعزيز النضال ضد هيمنة الطبقة السائدة وضد الملكية الخاصة، وذلك بفضل حضور البروليتاريا النسائية.

تحت ضغط لينين، تم إصدار مطبوعة خاصة للنساء البروليتاريات: العاملة (رابوتنيتسا)، صدر عددها الأول في العام 1914. ومع إرسال العديد من الرجال للقتال على الجبهة، شغلت النساء والأطفال وظائفهم على نطاق واسع. وبدأت طبقة جديدة من العاملات تدرك حقيقة الاستغلال الرأسمالي. بل إن مظاهرة نسائية هي التي أدت إلى سقوط النظام القيصري.

الثورة ومكاسبها

في مطلع العام 1917، أصبح الوضع لا يطاق بسبب الحرب: مع نفاذ مخزونات الغذاء، اضطرت النساء إلى الوقوف لساعات طويلة قبل الذهاب إلى العمل للحصول على القليل من الطعام. حتى الشرطة نفسها وصفت الوضع بأنه متفجر. وفي هذا السياق، احتُفل باليوم العالمي للمرأة في 23 فبراير (8 مارس حسب تقويمنا) عام 1917. أدى إضراب عفوي لعمالات النسيج في أحد أحياء سان بطرسبرغ إلى انضمام عمال التعدين في المصانع المجاورة إليهن. واضطرت الأحزاب الثورية، المترددة في البداية لاعتقادها بأن المضربين/ات يتجهون نحو مذبحة، إلى الانضمام إلى الحركة التي كانت تتوسع يوماً بعد يوم. وفي غضون أيام قليلة من المظاهرات، انهار النظام القيصري.

ثم جاءت ثورة أكتوبر التي أوصلت البلاشفة إلى السلطة. ومنذ ذلك الحين، أصبح بإمكانهم تطبيق سياستهم الرامية إلى تحرير المرأة.

حققت الثورة الروسية في غضون فترة قصيرة جدًا المطالب التي دافعت عنها النسويات في جميع أنحاء العالم. توالت المراسيم المتعلقة بالمرأة منذ بداية استيلاء البلاشفة على السلطة: ألغي الزواج الديني في متم العام 1917 ، وأصبح الزواج مجرد إجراء مدني. يحصل جميع الأطفال على نفس الحقوق، سواء كانوا «شرعيين» أم لا. ويتم الطلاق بالتراضي. وأُعلن عدم تدخل الدولة والمجتمع في العلاقات الجنسية بين الأفراد، إلا في حالات العنف. وبالتالي، لم يعد الزنا والمثلية الجنسية يعتبران جرائم.

اختفت سلطة رب الأسرة من القانون المدني. وبررت ألكسندرا كولونتاي ذلك بالقول: «لا توجد أخلاق في الطبيعة. لا ينبغي أن تكون العلاقات الجنسية مدعاة للخجل، ولا خطيئة. إنها مظهر من مظاهر الطبيعة، مثل الأكل والشرب». وقد وفرت الحكومة شبكة من الحضانات ورياض الأطفال. وفي يناير 1918، أُنشئت رسمياً «إدارة حماية الأمومة والطفولة». وتكلفت هذه الهيئة بضمان المساعدة للنساء الحوامل والأمهات الشابات، ومراقبة الالتزام بالتشريعات. وتنص التشريعات، على وجه الخصوص، على إجازة أمومة مدتها 16 أسبوعًا، وإعفاء الحوامل من الأعمال الشاقة للغاية، وحظر نقل الحوامل جغرافيًّا أو فصلهن من العمل، وحظر العمل الليلي للحوامل أو اللواتي أنجبن مؤخرًا، وإتاحة الوصول إلى عيادات مخصصة للأمومة، وعيادات الاستشارة، ودور الحضانة.

عُيّنت ألكسندرا كولونتاي مفوضةً للشؤون الاجتماعية ضمن مجلس مفوضي الشعب. وأصدرت عدة مراسيم تمنح حقوقاً جديدة للنساء: تنظيم ساعات العمل، لا سيما بالنسبة للنساء والشباب الذين تقل أعمارهم عن 16 عاماً، الذين لا يجوز لهم العمل ليلاً. أصدر مرسوم في يونيو 1918 إجازة مدفوعة الأجر لمدة أسبوعين، وهي الميزة التي لم تحصل عليها الطبقة العاملة الفرنسية إلا في عام 1936!

أبطل قانون الأسرة الجديد المعتمد في العام 1918 قروناً من السلطة الأبوية والكنسية ليرسي مبدأً جديداً قائماً على الحقوق الفردية وتساوي الجنسين. كان على النساء الحوامل الإفصاح عن وقت الحمل واسم وعنوان الأب، وإذا كن قد مارسن الجنس مع عدة رجال في ذلك الوقت، فإن القانون يفرض على جميع هؤلاء واجب إعالة الطفل. وأُلغي حق الميراث. وقام النظام العمالي، في أواخر العام 1920، بإضفاء الشرعية على الإجهاض وجعله متاحًا مجانًا. أما فيما يتعلق بالسكان المسلمين في روسيا، فقد قرر المؤتمر المخصص لهم إلغاء تعدد الزوجات، وحظر زواج الفتيات الصغيرات، وإنهاء إلزامية ارتداء الحجاب.

تصور الأسرة

كانت جميع هذه التدابير الرامية إلى تكريس المساواة القانونية بين النساء والرجال تستند إلى تصور اجمالي للأسرة. وكان المفهوم السائد هو أن الأسرة ستتجه إلى الزوال، شأنها شأن الدولة، في مجتمع خالٍ من الطبقات ومتحرر من الاستغلال. كان لدى البلاشفة هنا الفرصة لتطبيق أفكارهم عملياً. فمنذ زمن بعيد، فكر مناضلو الحركة العمالية ومناضلاتها في وضع الأسرة والمرأة. وقد كتب ماركس وإنجلز وبيبل الكثير عن الأسرة البرجوازية والبروليتارية، وربط جميع هؤلاء المفكرين تحرر المرأة بنضالات البروليتاريا. كانت شخصية مثل ألكسندرا كولونتاي، وهي قيادية بلشفية، تضع دائمًا نصب عينيها هدف ربط تحرر النساء العاملات بنضال طبقتهن الاجتماعية بأسرها من أجل إطاحة الرأسمالية.

كان الشيوعيون يدركون أن اضطهاد النساء نتيجة لتقسيم المجتمع إلى طبقات اجتماعية، وأن إنهاء هذا الاضطهاد لا يمكن أن يُفرض بمجرد قرار. ولكي يتوقف هذا الاضطهاد، لا بد من تتاح للنساء وسائل تحررهن، بالتمكن من إضفاء الطابع الاجتماعي على المهام المنزلية. كان لينين يشير إلى «العمل الأقل إنتاجية والأكثر مشقة الذي تقوم به المرأة» في الوحدة الاقتصادية الصغيرة المتمثلة في الأسرة. كان يجب، كما قالت كولونتاي، من «ابدال المطابخ الخاصة بمطابخ جماعية، وأن تصبح الخياطة والغسيل والتنظيف، على غرار التعدين أو صناعة المعادن، فروعاً للاقتصاد.» وأضافت: «الأسرة عديمة الفائدة بل ومضرة من الناحية الاقتصادية.»

كان ماركس وإنجلز قد وصفا الأسرة، قبل ذلك بوقت طويل، بأنها شكل اجتماعي متغير يتوافق مع نمط إنتاج معين. وكانا يقولان إن النظام الرأسمالي يلقى العبء المالي لتربية الأطفال وإعالة الأسرة، بكامله تقريبا، على عاتق الوحدات الأسرية للعمال، التي تعتمد بشكل أساسي على الأجور من أجل بقائها، بدلاً من أن تتحمل الحكومة أو الطبقة الرأسمالية هذه النفقات الاجتماعية. كما أدى ظهور الأسرة البروليتارية إلى التمييز بوضوح بين طبيعة القمع الذي تعاني منه النساء في الطبقات المختلفة؛ فدور نساء الطبقات السائدة هو إنجاب النسل الذي سيرث ثروة العائلة، في حين أن وظيفة نساء الطبقة العاملة هي الحفاظ على أجيال العمال الحالية والمستقبلية داخل أسرهن، أي إعادة إنتاج قوة العمل للنظام الرأسمالي.

على عكس النسويات اللائي يرغبن في تقاسم العمل المنزلي داخل الأسرة، أراد البلاشفة إخراجه من هذا الإطار ونقله إلى المجال العام، بما في ذلك تربية الأطفال. وعندما يتحقق كل ذلك، ستصبح الأسرة عديمة الفائدة وستتلاشى، مثل الدولة. عندئذٍ سيتحرر الحب من قيود الأسرة، وسيتم الاتحاد بين شخصين بحرية.

في مؤتمر العاملات والريفيات عام 1918، طرحت إينيس أرمان، المناضلة ذات الأصول الفرنسية التي انضمت إلى البلاشفة، المشكلة على النحو التالي، في عرض تقديمي حول تحرير النساء من العبودية المنزلية: «في ظل الرأسمالية، كان على المرأة العاملة أن تتحمل عبءً مزدوجًا يتمثل في العمل في المصنع والأعمال المنزلية في البيت. فلم يكن عليها فقط أن تغزل وتنسج لصالح صاحب المصنع، بل كان عليها أيضًا أن تغسل وتخيط وتطبخ لأسرتها... لكن الوضع اليوم مختلف. فالنظام البرجوازي في طريقه إلى الزوال. نحن نقترب من فترة بناء الاشتراكية. يتعين علينا، من أجل إبدال آلاف وملايين الوحدات الاقتصادية الفردية الصغيرة، والمطابخ البدائية وغير الصحية وغير المجهزة جيدًا، وحوض الغسيل غير المريـح، إنشاء هياكل جماعية نموذجية، ومطابخ جماعية، ومقاصف جماعية، ومغاسل جماعية. « وتوضح أنه في ظل الاشتراكية، فإن المرافق الجماعية « لن تتولى مسؤوليتها النساء العاملات اللواتي ستُستغل مهاراتهن المنزلية، بل أشخاص مُعيَّنون خصيصًا لهذه المهام المحددة. «

وبعد ذلك بوقت قصير، كتبت عن المؤتمر ومناقشاته: «إذا تم طرح قضايا مثل حماية الأمومة والطفولة في المؤتمر، فليس ذلك لأن النساء العاملات لا يهتمن إلا بهذه المشاكل دون غيرها. وإلى أن نتخلص من الأشكال القديمة للأسرة والحياة المنزلية وتربية الأطفال، يستحيل خلق الفرد الجديد، ويستحيل بناء الاشتراكية.«

كان البلاشفة يعتبرون، وفقًا لعبارة سيستخدمها تروتسكي لاحقًا، أن « تحرر المرأة الحقيقي مستحيل في ظل تشريك البؤس «3.

إشراك النساء

كانوا يدركون جيدًا أن ثمة حاجة، بالإضافة إلى القوانين، إلى تغيير جذري لمكانة المرأة في المجتمع، لا سيما بمنحها إمكان المشاركة في إنتاج الثروة. وكما أكدت ألكسندرا كولونتاي في عام 1921: «إن أهم عمل ثوري هو إدخال العمل الإلزامي للرجال والنساء البالغين. وقد أحدث هذا القانون تغييرًا غير مسبوق في حياة المرأة. لقد غيّر دور المرأة في المجتمع والدولة والأسرة، بشكل أعظم أهمية بكثير من جميع المراسيم الأخرى الصادرة منذ ثورة أكتوبر والتي منحت المرأة المساواة السياسية والمدنية». يهدف الحزب إلى إدخال النساء، سواء كنّ عاملات أو فلاحات أو ربات بيوت أو موظفات، في جميع المنظمات المرتبطة بالسوفييتات. يجب انتخاب النساء على جميع المستويات. ويطالب المناضلات بالذهاب لإجراء الدعاوة بين النساء بالاشتغال عاملات في محاولة لتغيير العادات.

ووفقًا لعبارة لينين الشهيرة ، «يجب على كل طاهية أن تتعلم إدارة الدولة»، فإن الهدف هو إشراك النساء في جميع مستويات صنع القرار. يكتب لينين، في مقال نُشر في صحيفة «برافدا» عام 1920:»يجب أن تشارك العاملات بشكل أكبر في الانتخابات (...) نحن نريد أن تحقق العاملة المساواة مع العامل، ليس فقط أمام القانون، بل في الحياة أيضًا. ولهذا الغرض، يجب أن تشارك العاملات بشكل

متزايد في إدارة المؤسسات العامة وإدارة الدولة (...) لذا انتخبن المزيد من العاملات الشيوعيات أو غير المنتميات لأي حزب في السوفييت» . وخلص قائلاً: «لن تتمكن البروليتاريا من تحرير نفسها تماماً دون أن تمنح النساء الحرية الكاملة. «

التحكم الستاليني

أدى انحطاط الاتحاد السوفيتي وترسخ البيروقراطية إلى التراجع عن العديد من مكاسب الثورة، لا سيما تلك المتعلقة بالمرأة. في عام 1936، وهو العام الذي بدأت فيه محاكمات موسكو، حظرت الديكتاتورية الستالينية الإجهاض. كما أصدرت مرسوماً بزيادة رسوم الطلاق. فمن الضروري «حماية الأسرة السوفياتية الجديدة» ومحاربة ما يسميه البيروقراطيون «موقفًا متساهلًا ومهملًا إزاء الزواج».

كان لهذا الانحطاط الستاليني عواقب على جميع أحزاب الأممية الشيوعية. فلم يقتصر الأمر على تحولها إلى مجرد منفذين للسياسة المضادة للثورة التي تمليها الدبلوماسية الستالينية، بل تبنّت أيضًا الأفكار الرجعية بشأن النساء، اللواتي دُعين إلى الإنجاب والاعتناء بأسرهن. في فرنسا، تخلّى الحزب الشيوعي عن جميع النضالات التي كان من الممكن أن تجعله حزبًا ثوريًّا، ومن بينها نضال النساء من أجل تحررهن. ومع ذلك، عارض الحزب الشيوعي الفرنسي، عند تأسيسه، قانون عام 1920، الذي كان يحكم على من يجرين عمليات الإجهاض ومن يخضعن لها باعتبارهن مجرمات. في تلك السنوات، لم يكن الحزب الشيوعي المرتبط بالثورة الروسية يخشى الدفاع عن وسائل منع الحمل، والحق في الإجهاض، وإتاحة الفرصة للنساء للترشح للانتخابات. وهكذا، في عام 1924، انتُخبت الناشطة العمالية جوزفين بنكاليه على قائمة شيوعية في المجلس البلدي لمدينة دوارنيز، في مقاطعة فينيستير. و ذلك في وقت لم يكن فيه للنساء حق التصويت ولا حق الترشح.

يشرح تروتسكي، في فصل من كتابه الثورة المغدورة، بعنوان « ثيرميدور في المنزل »، سبب عدم حدوث تحرر المرأة : «كان من المفترض، في أذهان الثوريين، أن يحل محل الأسرة — التي تُعتبر مؤسسة صغيرة مغلقة — نظام متكامل من الخدمات الاجتماعية: دور رعاية الأمومة، وحضانات، ورياض أطفال، ومطاعم، ومغاسل، وعيادات، ومستشفيات، ومصحات، ومنظمات رياضية، ودور سينما، ومسارح، وما إلى ذلك. كان من المفترض أن يؤدي استيعاب المجتمع الاشتراكي الكامل للوظائف الاقتصادية للأسرة، الذي يربط جيلاً بأكمله بروح التضامن والمساعدة المتبادلة، إلى منح المرأة، وبالتالي الزوجين، تحرراً حقيقياً من نير العصور الوسطى. وطالما لم يتم إنجاز هذا العمل، فستظل أربعون مليون أسرة سوفيتية، في غالبيتها العظمى، فريسة للعادات العصور الوسطى، واستعباد المرأة وهستيريتها، والإهانات اليومية التي يتعرض لها الطفل، والخرافات التي يعاني منها كل منهما. وفي هذا الصدد، لا مجال لأي أوهام. ولهذا السبب بالتحديد، فإن التغييرات المتتالية في وضع الأسرة في الاتحاد السوفيتي هي التي تميز بشكل أفضل الطبيعة الحقيقية للمجتمع السوفيتي وتطور فئاته الحاكمة. «

.Jean-Jacques Marie, « Les Femmes dans la révolution russe », Seuil, 2017.1

Clara Zetkin est à l’origine, avec Alexandra Kollontaï, de la Journée.2 .internationale des femmes . La première eut lieu le 19 mars 1911

.La Révolution trahie », 1936 ».3

المصدر: https://lanticapitaliste.org/opinions/histoire/les-femmes-dans-la-revolution

مراجعة الترجمة الآلية: جريدة المناضل-ة

ثورة أكتوبر والمسألة القومية

بقلم: ليمي ك Lemmy K

فيما كانت الإمبراطورية الروسية قد وصلت دفعت الاضطهاد القومي إلى ذروته، بذل النظام السوفيتي، في سنواته الأولى، جهودًا من أجل حرية الشعوب وحقها في تقرير المصير أكثر من أي حكومة أخرى في العالم في أي فترة تاريخية.

توسعت الإمبراطورية الروسية، التي تعود أصولها إلى إمارة موسكو في القرن الثالث عشر تحت الحكم المغولي، بنحو تدريجي لتصبح في العام 1914 أكبر دولة في العالم وأكثرها سكانًا (باستثناء الإمبراطوريات الاستعمارية): 22,8 مليون كيلومتر مربع و175 مليون نسمة.

تم «توحيد الأراضي الروسية» في أوائل القرن السادس عشر، و غزو سيبيريا في القرن السابع عشر، وضم ساحل بحر البلطيق في أوائل القرن الثامن عشر (مع تأسيس سان بطرسبرغ)، وأغلب أراضي بولندا مع أقاليمها التابعة في ليتوانيا وبيلاروسيا والأوكرانية، فضلاً عن ساحل البحر الأسود في أواخر القرن الثامن عشر، والقوقاز وفنلندا في أوائل القرن التاسع عشر، وتركستان الروسية (في آسيا الوسطى) والشرق الأقصى (مع تأسيس فلاديفوستوك) في منتصف القرن التاسع عشر، إلخ. وتتطابق حدودها (باستثناء بولندا وفنلندا) تقريبًا مع حدود الاتحاد السوفيتي عام 1945.

روسيا القيصرية، «سجن الشعوب» الشاسع

تضم الإمبراطورية الروسية حوالي مائة قومية: الروس (أقلية: 43% في تعداد عام 1897)، الأوكرانيون (18%)، الأتراك-المغول (12%، التتار في منطقة نهر الفولغا أو شبه جزيرة القرم في أوروبا، الأذريون في القوقاز، الكازاخ والأوزبك في آسيا الوسطى، البوريات في سيبيريا، إلخ)، البولنديون، الفنلنديون (في شمال روسيا الأوروبية، والفنلنديون، والإستونيون، والموردفيون، إلخ)، والألمان، واليهود، والبيلاروسيون، واللاتفيون، والليتوانيون، والجورجيون، والأرمن، والإيرانيون (الطاجيك، إلخ)، الرومان (في مولدافيا الحالية)، سكان جبال القوقاز (الشيشان، إلخ)، اليونانيون، البلغار...

بنظر لينين، «حطمت روسيا في زمن السلم الرقم القياسي العالمي في اضطهاد الأمم على أساس إمبريالية فجة، قروسطية، ومتخلفة اقتصاديًا، وعسكرية، وبيروقراطية» . لم تعترف روسيا القيصرية بأي حق قومي: فبولندا كانت تُسمى «بلاد نهر فيستولا»، وليتوانيا «مقاطعات الشمال الغربي»، وأوكرانيا «روسيا الصغيرة». وفرضت اللغة الروسية لغةً رسمية، وفضلت الديانة الأرثوذكسية باعتبارها ديانة الدولة. وهي تعتبر اللغتين الأوكرانية والبيلاروسية لهجات روسية، وتحظر اللغات الوطنية في الإدارة والصحافة والمدارس. كما تقوم بترحيل السكان وتوطين مستوطنين، سواء كانوا روسًا أم غير روس. وتقمع الانتفاضات الوطنية (البولنديون في 1861-1864، على سبيل المثال).

كان النظام القيصري معادياً للسامية: «مناطق إقامة» يُحصر فيها 95% من يهود روسيا، ونظام «العدد المحدد» في مؤسسات التعليم، وحظر ممارسة مهن معينة، فضلا عن المذابح العديدة التي، إن لم تكن منظمة، فقد شجعتها وساعدت عليها السلطات القيصرية على الأقل. «لا توجد قومية في روسيا تُقمع وتُضطهد مثل القومية اليهودية» (لينين).

صعود المسألة القومية قبل أكتوبر 17

غالبًا ما ترتبط المسألة القومية بالمسألة الاجتماعية. وغالبا ما كون كبار ملاك الأراضي، في مناطق الأقليات القومية، من الروس. انضم العديد من أفراد مختلف القوميات إلى ثورات الفلاحين ضد نظام القنانة.1

في نهاية القرن التاسع عشر، ورداً على التطور الرأسمالي المتسارع وسياسة الترويس، نشأت حركات قومية بشكل متفاوت، متنوعة للغاية سياسياً واجتماعياً، منها حركات قومية برجوازية أو صغيرة

برجوازية، واشتراكية من مختلف الاتجاهات. ولا سيما بين الأوكرانيين، والإستونيين، واللاتفيين، والليتوانيين، والجورجيين، والأرمن (الذين يعيش معظمهم تحت الحكم التركي)، والأذريين (ذوي البعد القومي التركي القوي)، والتتار في منطقة الفولغا، وغيرهم. وتشكلت في بولندا وفنلندا برجوازية وطنية تطمح إلى الاستقلال وإقامة دولة قومية. شاركت هذه الحركات الوطنية بنشاط في ثورة عام 1905: ففي جورجيا أو لاتفيا، تمكنت المناطق المتمردة حتى من التحرر لعدة أشهر من نير الحكم القيصري.

أثار سقوط النظام القيصري، في فبراير 1917، آمالاً كبيرة بين شعوب روسيا المضطهدة. لكن الحكومة المؤقتة ماطلت في الأمر، وأرجأت المسألة إلى الجمعية التأسيسية المرتقبة، بل وعارضت التطلعات القومية، كما حدث في فنلندا حيث قامت بحل البرلمان الذي كانت أغلبيته فيه من الاشتراكيين الديمقراطيين2، والذي تجرأ على إعلان سيادته الوطنية لحل الأزمة الحادة في الإمدادات الغذائية. لذا، آلت إلى ثورة أكتوبر المهمة الجسيمة المتمثلة في إيجاد حل للمسألة القومية.

الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي (POSDR)3 والمسألة القومية

اشتهر مؤتمره الثاني عام 1903 بالانقسام الشهير بين المناشفة والبلاشفة، لكنه أقل شهرة بما يخص الانفصال عن المنظمات الاشتراكية الديمقراطية القومية، مثل «البوند»4 والحزب الاشتراكي الديمقراطي لمملكة بولندا وليتوانيا 5، حول المسألة القومية. أما مع «البوند»، فقد كان العائق يكمن في الجانب التنظيمي (كيفية اشتغال الحزب متعدد القوميات). فقد طالب «البوند»، المعترف به في العام 1898 بما هو «منظمة مستقلة، تقتصر اختصاصاتها على القضايا التي تخص بشكل خاص البروليتاريا اليهودية»، بالفيدرالية و»احتكار» تمثيل البروليتاريا اليهودية. أما مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي لمملكة بولندا وليتوانيا، فكان الخلاف يدور حول الجانب البرنامجي (المطالب القومية). يرفض الحزب الاشتراكي الديمقراطي لمملكة بولندا وليتوانيا، المعارض لاستقلال بولندا، رفضًا قاطعًا «حق تقرير المصير لجميع الأمم الواقعة ضمن حدود الإمبراطورية الروسية»، الوارد في برنامج الحزب وفقًا لموقف الأممية الثانية6.

أدى المؤتمر الرابع لعام 1906 إلى توحيد الحزب مؤقتًا، بما في ذلك تكتلاته الروسية، المنشفية والبلشفية، ومنظماته القومية التابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي، مثل «البوند»، والحزب الاشتراكي الديمقراطي لمملكة بولندا وليتوانيا و«الحزب الاشتراكي الديمقراطي اللاتفي». وتم الإبقاء على «حق تقرير المصير » في البرنامج. واعتمد حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي (POSDR) نظام عمل شبه فيدرالي: تنظيم مؤتمرات وطنية لكل قومية، وتمثيل المنظمات الوطنية في هيئات الحزب، ولا سيما في اللجنة المركزية، وإنشاء مجموعات خاصة للأدب والنشر والتحريض باللغة الخاصة بكل قومية، وما إلى ذلك.

ومع أزمة الإمبراطوريتين النمساوية والتركية، انفجرت القضية القومية في أوروبا. احتدم الجدل داخل الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية بين جناح يميني، «اشتراكي-شوفيني»، متأثر بقومية برجوازيته (كما سيتضح في عام 1914!)، وماركسيين نمساويين، رينر وباور، الذين يدعون إلى «الاستقلال الثقافي القومي خارج الحدود الإقليمية» في إطار «النمسا الكبرى» الديمقراطية الافتراضية، و«الأممين الجذريين» مثل روزا لوكسمبورغ التي تعارض، باسم الأممية البروليتارية والنضال ضد القومية البرجوازية، الانفصال القومي، كل ذلك تحت وساطة المنظر الرئيسي للحزب الاشتراكي الألماني، كاوتسكي.

إسهام لينين الاستراتيجي الحاسم

عاد لينين، الذي كان قد تخلّى عن الاهتمام بالمسألة القومية منذ العام 1903، ليعمق النظر فيها ابتداءً من العام 1912. ولا بد من قول إنها باتت لا مفر منها حتى داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي ذاته. فقد ضمت «كتلة أغسطس»، التي تشكلت لمواجهة الانشقاق البلشفي7، إلى جانب المنشفيين، جميع المنظمات القومية التابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي، واعتمدت، بناءً على اقتراح من «البوند»، مبدأ «الحكم الذاتي الثقافي».

لم يطمح لينين إلى صياغة نظريته الخاصة حول الأمة، سواء في مقابل النظرية «النفسية-

الثقافية»عند بوير أو بالاستناد إلى النظرية «التاريخية-الاقتصادية» عندكاوتسكي. بل كان يتوخى، كعادته، وضع السياسة في مقاليد القيادة»، وبناء برنامج متين ومتسق بشأن المسألة القومية. وهو ما يلخصه ب»وحدة العمال من جميع القوميات، جنبًا إلى جنب مع المساواة الكاملة بين القوميات والديمقراطية الأكثر اتساقًا في الدولة».

تعني الديمقراطية الأكثر اتساقًا «استقلالية إقليمية واسعة وإدارة محلية مستقلة ديمقراطية تمامًا». ولا يمكن تحقيق وحدة الشغيلة من جميع القوميات إلا في حزب مشترك تحكمه «المركزية الديمقراطية». وتستلزم المساواة الكاملة بين القوميات النضال ضد أي اضطهاد قومي، وبالتالي ضد القومية الروسية، وضد فرض اللغة الروسية لغةً رسمية، وكذلك من أجل... حق الأمم في تقرير المصير، بما في ذلك الانفصال والاستقلال.

يرى لينين، « أن تشكيل دولة قومية مستقلة أو ذات حكم ذاتي يظل في روسيا، في الوقت الحالي، امتيازًا مقصورًا على الأمة الروسية الكبرى وحدها. نحن، البروليتاريون، لا ندافع عن أي امتيازات من أي نوع؛ ولا ندافع أيضًا عن هذا الامتياز بالذات (...) هل أوكرانيا، على سبيل المثال، مدعوة إلى تشكيل دولة مستقلة؟ يتوقف هذا على آلاف العوامل التي لا يمكن التنبؤ بها. وبدون أن نضيع أنفسنا في تخمينات عقيمة، نتمسك بشدة بما هو لا جدال فيه: حق أوكرانيا في تشكيل هكذا دولة. نحن نحترم هذا الحق؛ ولا نؤيد امتيازات الروس الكبار على الأوكرانيين؛ نقوم بتثقيف الجماهير بروح الاعتراف بهذا الحق، وبروح رفض الامتيازات الدولتية لأي أمة كانت».

يعني تأييد حق تقرير المصير معارضة الضم، «القديم والجديد « («الضم هو انتهاك لحقوق تقرير المصير لأي أمة، أي ترسيم حدود دولة ما رغماً عن إرادة سكانها») ومساندة»تحرر المستعمرات الفوري وغير المشروط»، «من تركستان، وبخارى، وخيوة، إلخ.»

إن الحق في الحكم الذاتي القومي في دولة اتحادية لا يصل إلى حد المساواة الكاملة والحقيقية بين الأمم، فالحق الفعلي في الانفصال هو وحده الذي يضمن ذلك. إنه الوسيلة الوحيدة التي تجعل تتيح في الوقت الراهن العمل المشترك مع الحركات القومية لإطاحة النظام القيصري، دون أن نكون تابعين لها، ومن ثم تشكيل اتحاد فيدرالي بموافقة حرة بين الأمم، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا تحت قيادة الطبقة العاملة.

يقارن لينين ذلك بالطلاق: «يعارض الرجعيون حرية الطلاق (...) ويرى الديمقراطيون أن الرجعيين منافقون، وأنهم يدافعون في الواقع عن سلطة الشرطة والبيروقراطية المطلقة، وامتيازات أحد الجنسين، وأبشع أشكال اضطهاد المرأة؛ ويعتقدون أن حرية الطلاق لا تعني في الواقع تفكك الروابط الأسرية، بل على العكس، تعني تعزيزها على أسس ديمقراطية، وهي الأسس الوحيدة الممكنة والمستقرة في مجتمع متحضر (...) وكما أن المدافعين، في المجتمع البرجوازي، عن الامتيازات والفساد — اللذين يقوم عليهما الزواج البرجوازي — يثورون ضد حرية الطلاق، كذلك في الدولة الرأسمالية، فإن إنكار حق الأمم في تقرير مصيرها، أي حرية الانفصال، هو ببساطة دفاع عن امتيازات الأمة المهيمنة وأساليب الحكم البوليسية على حساب الأساليب الديمقراطية.»

حق تقرير المصير هو النقطة المحورية في برنامج لينين القومي. وهو بؤرة الخلافات مع التيارات الأخرى في الحركة الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية التي تعارض جميعها، لأسباب مختلفة جدًّا، حق الانفصال. ويرد لينين على الاتهامات بالتنازل أمام القومية البرجوازية، بأن الاعتراف بالحق في الاستقلال لا يعني تأييد أي مطلب استقلالي: « ينبغي عدم الخلط بين حق الأمم في تقرير المصير ومسألة ما إذا كان من المناسب لأمة معينة أن تنفصل، ويجب أن يحسم الحزب الاشتراكي الديمقراطي هذه المسألة الأخيرة في كل حالة على حدة بشكل مستقل تمامًا، من منظور مصالح التطور الاجتماعي برمته ومصالح الصراع الطبقي للبروليتاريا من أجل الاشتراكية». وفي المقابل، يعني إنكار حق تقرير المصير في الواقع التواطؤ مع القومية المضطهِدة. ولعل الجدل الأكثر شهرة هو ذلك الذي دار مع روزا لوكسمبورغ: «خوفًا من قومية برجوازية الأمم المضطهَدة، يصب موقف روزا لوكسمبورغ في الواقع في مصلحة قومية المئات السود الروسية الكبرى».

وتجدر الإشارة إلى نقطة ضعف استراتيجية لدى لينين، هي معركته ضد « الحكم الذاتي الثقافي القومي خارج الحدود الإقليمية» الذي دعا إليه الماركسيون النمساويون وحركة «البوند»، والذي اعتبرَه «النزعة القومية الأكثر رقة، ولهذا السبب، الأكثر ضررًا «، في حين أنه قد يكون عنصراً من عناصر حل المسألة القومية، بالنسبة للشعوب التي لا أرض لها أو للقوميات المتشابكة بشكل لا ينفصم على نفس الإقليم. وعلاوة على ذلك، سيطبقها البلاشفة في السلطة فعلياً على الأمة اليهودية أو في داغستان (14 لغة رسمية).

لم تحظَ مواقف لينين بالإجماع داخل الحزب البلشفي، الذي لم يكن خالياً من النزعة القومية الروسية الكبرى (كما سنرى لاحقاً مع ستالين) والذي كان يضم أيضاً «الأمميين الجذريين» (بوخارين).

إنجازات ثورة أكتوبر

أُعلن مرسوم القوميات، الصادر مباشرة بعد ثورة أكتوبر، «المساواة والسيادة لجميع شعوب البلد، وحقها في تقرير المصير، بما في ذلك الانفصال وتشكيل دول مستقلة» . وهكذا اعترفت روسيا السوفيتية باستقلال فنلندا وبولندا وأوكرانيا ودول البلطيق (ليتوانيا ولاتفيا وإستونيا) ودول القوقاز (جورجيا وأذربيجان وأرمينيا)، التي كان يقودها جميعًا تقريبًا أحزاب قومية برجوازية.

تستند الجمهورية الاشتراكية الاتحادية السوفياتية الروسية، التي أُعلنت في 12 يناير 1918، أياما قليلة بعد حل الجمعية التأسيسية، إلى «الاتحاد الحر للأمم الحرة، بما هي اتحاد للجمهوريات السوفياتية القومية» . وهي تتيح لكل مواطن إمكان اختيار جنسيته وتمنح جميع العمال والفلاحين المقيمين على أراضي روسيا السوفيتية، بصرف النظر عن جنسيتهم، نفس حقوق المواطنون الروس السياسية.

أنشأت روسيا السوفيتية، تحت رعاية «ناركوموناتس»8، زهاء ثلاثين كيانًا قوميًا مستقلاً. وقد اتبعت فيها سياسة إيجابية، من ناحية لتدريب الكوادر القومية، في حين أن البلاشفة غالبًا ما كان وجودهم فيها ضعيفًا أو معدومًا، ومن ناحية أخرى لتنمية الثقافات القومية (اللغة، الأدب، إلخ). لم يقم أي نظام في العالم بما قامت به روسيا السوفيتية من أجل تعزيز ثقافة أقلياتها القومية.

مثالان على كيانات قومية، لم يتم اختيارهما عشوائيًا تمامًا9 :

• دولة عمال الفولغا الألمان، التي يسكنها في الغالب أحفاد المستوطنين الألمان الذين أمرت كاترين الثانية، الأميرة الألمانية، باستيطانهم بالقرب من ساراتوف في القرن الثامن عشر (كان أصل والدة لينين منهم !)

• كالموكيا، التي يسكنها الكالموكيون، وهم شعب مغولي بوذي الديانة هاجر إلى سهول شمال بحر قزوين في القرن السابع عشر (كان لينين من جهة والده من أصل كالموكي، وهذا مصدر عيونه المائلة!)

تأسس الاتحاد السوفياتي (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية)، بعد الحرب الأهلية، باتحاد أربع جمهوريات اشتراكية سوفياتية هي روسيا، وبيلاروسيا، وأوكرانيا، و«ترانسكاوكازيا». وينص دستوره على سيادة كل جمهورية اتحادية (في حدود الصلاحيات المخصصة للاتحاد)، ويعترف بحقها في الانسحاب من الاتحاد، ويفرض ألا يُغير إقليم أي منها دون موافقتها.

على الصعيد الدولي، اعتمدت الأممية الشيوعية «أطروحات حول المسائل القومية والاستعمارية» في مؤتمرها الثاني عام 1920 (الذي تلاه المؤتمر الأول لشعوب الشرق في باكو). وتدعو هذه الأطروحات، التي استكملت في المؤتمر الرابع عام 1922، إلى التمييز بوضوح بين «الأمم المضطهدة (بالفتح) والتابعة» و»الأمم الممارسة للاضطهاد والاستغلال» . وهي تفرض على الأحزاب الشيوعية في البلدان الإمبريالية التدخل بشكل منهجي ضد إمبرياليتها الخاصة، «بالمساعدة المادية والمعنوية للحركات العمالية الثورية في المستعمرات» و»محاربة الميول الاستعمارية لبعض فئات الشغيلة الأوروبيين ذوي الأجور المرتفعة العاملين في المستعمرات، بعناد ودون رحمة «. و تدعو، في الأخير، الأحزاب الشيوعية في البلدان الخاضعة للاحتلال إلى المشاركة بنشاط في الحركات الثورية في بلدانها، ولا سيما حركات الفلاحين الفقراء، وتشكيل «جبهة موحدة مناهضة للإمبريالية «مع المنظمات القومية البرجوازية مع

«الحفاظ على استقلالها السياسي التام».

مع بعض الحدود...

واجه البلاشفة حرباً، حرباً أُطلق عليها خطأً اسم «الأهلية»، لم يكونوا يريدونها، وكانوا يفضلون الاستغناء عنها، وجلبت في أعقابها نصيبها من الدمار والمجاعة والموت والهمجية. وإبان هذه الحرب، تراجع مبدأ «حق الأمم في تقرير مصيرها » إلى حد كبير لصالح ميزان القوى العسكرية على الأرض. وقد تم «تحرير» جميع الأراضي التي ضمتها روسيا السوفيتية تقريبًا على يد الجيش الأحمر.

وتعد أوكرانيا حالة نموذجية في هذا الصدد. فقد تحولت إلى ساحة معركة هائلة بين الجيش الألماني (حتى نوفمبر 1918)، والجيش الأوكراني بقيادة بيتليورا، والجيشين الأخضرين بقيادة ماخنو وغريغوريف، وجيوش الروس البيض بقيادة دينيكين ووارنجل، والجيش الفرنسي (الذي احتل موانئ البحر الأسود)، والجيش البولندي بقيادة بيلسودسكي، وبالطبع الجيش الأحمر أيضًا: فقد تغيرت السيطرة على العاصمة كييف عشر مرات بين ديسمبر 1917 ويونيو 1920.

وإذا كان البلاشفة قد انتصروا في النهاية في هذه الحرب، فذلك لأن الفلاحين والأقليات القومية فضلوا «الإرهاب الأحمر» (الذي، على الرغم من كل تجاوزاته وعيوبه، منحهم الأرض والحقوق القومية) على «الإرهاب الأبيض» (الذي حرمهم من كليهما). علاوة على ذلك، ففي حين كان ميزان القوى العسكرية في صالح البلاشفة في أوكرانيا أو سيبيريا على سبيل المثال، كان ضدهم في فنلندا أو لاتفيا أو إستونيا، حيث سُحق «الحمر» — رغم أنهم كانوا يشكلون الأغلبية — على يد «البيض»، الذين استدعوا القوات الألمانية لنصرتهم.

وهناك أيضًا مسألة حدود الكيانات القومية المختلفة، التي تعقّدت بسبب السياسة الاستعمارية لروسيا القيصرية، والمطالب التاريخية للأقليات القومية، والتشابك السكاني في تلك المناطق. وقد أجرت روسيا السوفيتية ما لا يقل عن عمليتي تحكيم أثارتا مشاكل في الآونة الأخيرة: شرق أوكرانيا، الذي كان يسكنه في ذلك الوقت غالبية من الروس، و«كاراباخ العليا»، التي يسكنها غالبية من الأرمن لكنها تابعة لأذربيجان.

... ومشاكل أشد خطورة

قام الديكتاتور البولندي بيلسودسكي، في ربيع العام 1920، معتقدًا أن الوقت قد حان لتحقيق حلمه بـ«بولندا الكبرى» التي ستمتد، كما في أوائل القرن السابع عشر، من بحر البلطيق إلى البحر الأسود، بغزو الجزء الأكبر من أوكرانيا، بدعم من فرنسا، وشرع في ارتكاب مذابح دموية هناك. أما الجيش الأحمر، مستنداً إلى انتفاضات الفلاحين الأوكرانيين الذين لم ينسوا قرون القمع التي عانوا منها على يد النبلاء البولنديين، فقد دحره سريعاً حتى خط كيرزون10. ولم يؤد استمرار هجومه في الأراضي البولندية، الذي قرره لينين خلافًا لرأي تروتسكي، إلى الانتفاضة العمالية والفلاحية المؤيدة للشيوعية التي كان يتوقعها، بل أدى إلى كارثة عسكرية، وقد تم تثبيت ذلك بمعاهدة ريغا التي حددت الحدود على بعد حوالي 200 كيلومتر شرق خط كيرزون. ويبدو أن لينين قد نسي هذا الاقتباس الذي استشهد به عام 1916 من إنجلز، الذي كتب إلى كاوتسكي عام 1882: « لا يمكن للبروليتاريا المنتصرة أن تفرض أي نوع من السعادة على أي شعب أجنبي دون أن تعرض بذلك انتصارها للخطر».

إلا أن القضية الجورجية أشد خطورة. فجورجيا، المستقلة منذ مايو 1918، هي معقل تاريخي للمناشفة، وقد منحتهم أغلبية تجاوزت 80% في الانتخابات الوطنية التي جرت في فبراير 1919. قامت الحكومة المنشفيّة بقيادة نوي جوردانيا بإجراء إصلاح زراعي ومنحت استقلالية ذاتية معينة للأقليات الأبخازية والأوسيتية. وقامت، بمعاهدة موسكو في مايو 1920، بإضفاء شرعية على المنظمات البلشفية الجورجية، في حين اعترفت السلطة السوفيتية مجدداً باستقلال جورجيا. وفي فبراير 1921، بعد تنظيم انتفاضة زائفة، أمر ستالين الجيش الأحمر بغزو جورجيا، التي تم احتلالها بعد معارك عنيفة. وأصبحت جورجيا بعد ذلك مسرحًا لـ«المعركة الأخيرة» للينين، الذي لم يشهد القمع الدموي للانتفاضة الوطنية الجورجية في أغسطس 1924 (التي أسفرت عن أكثر من 10 آلاف قتيل).

محاولة تقييم

كانت روسيا القيصرية معادية للسامية، وتقمع الأقليات القومية، وتفرض عليها سياسة «الروسنة» المنهجية. أما الدول الإمبريالية الحليفة، التي تؤيد رسمياً، على غرار الرئيس الأمريكي ويلسون، «حق الشعوب في تقرير مصيرها «، فقد حرصت على عدم تطبيقه على مستعمراتها، ورسمت على الخريطة، دون استشارة الشعوب المعنية، حدود دول أوروبا الوسطى والشرقية بموجب معاهدة فرساي وملحقاتها. أما روسيا السوفياتية فقد اعترفت بالحق في تقرير المصير، بما في ذلك الحق في الاستقلال، وأنشأت كيانات قومية ذاتية الحكم، وحررت الثقافات القومية المقموعة، وما إلى ذلك.

وبالتالي، فإن حصيلة السلطة السوفيتية الناشئة بشأن المسألة القومية إيجابية بلا شك. حتى وإن كانت ثمة أخطاء، بعضها خطير في بعض الأحيان كما حدث خلال المغامرة العسكرية على الأراضي البولندية – حيث اختارت غالبية السكان آنذاك الدفاع عن استقلالها الوطني. وقد شوهت هذه الحصيلة بسبب الإنكار الجسيم لمبدأ الحق في تقرير المصير الذي تمثله إطاحة الحكومة المنشفيّة المنتخبة في جمهورية جورجيا الديمقراطية، والتي أعقبها ضمّ هذا البلد بشكل صريح. لكن الأحداث التاريخية اللاحقة أظهرت أن هذه الجريمة، التي تمت تحت قيادة ستالين وتابعه أوردجونيكيدزه، كانت في الواقع نذيرًا بالثورة المضادة البيروقراطية.

هوامش:

· 1. لا سيما تلك التي وقعت في الفترة 1667-1671 بقيادة رازين، وتلك التي وقعت في الفترة 1773-1775 بقيادة بوجاتشيف، اللتان هزتا النظام القيصري.

· 2. في المقال بأكمله، يُستخدم هذا المصطلح بمعناه التاريخي التقليدي حتى عام 1914، أي الذي يمثل مصالح الطبقة العاملة وينتسب إلى الماركسية.

· 3.حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، الذي تأسس عام 1898 في مؤتمر مينسك

· 4.الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولندا وروسيا، الذي تأسس عام 1897

· 5.الاشتراكية الديمقراطية في مملكة بولندا وليتوانيا، التي تأسست عام 1894. وأشهر قياداتها روزا لوكسمبورغ.

· 6.في مؤتمر «الأممية الثانية» الذي عُقد في لندن عام 1896، اشتبكت المنظمتان البولنديتان حول مسألة استقلال بولندا. كان الحزب الاشتراكي البولندي (PPS، الذي تأسس عام 1892 وأشهر قادته هو بيلسودسكي)مؤيدًا، بينما عارضه الحزب الاشتراكي الديمقراطي في بولندا وليتوانيا (SDKPiL). أضاف كاوتسكي في القرار السياسي الذي تم اعتماده «الحق الكامل في تقرير المصير لجميع الأمم»، والذي كان بمثابة حل وسط لكنه لم يُناقش كثيرًا.

· 7. قام لينين بانشقاق عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي (POSDR) وتأسيس الحزب البلشفي في مؤتمر براغ في يناير 1912. أما «كتلة أغسطس»، التي تشكلت في أغسطس 1912 تحت رعاية تروتسكي، فقد تفككت بعد ذلك بوقت قصير بسبب تباينها السياسي

· 8.مفوضية الشعب للشؤون القومية، التي كانت تتألف من غير الروس، وقادها الجورجي ستالين من عام 1917 إلى عام 1923، ثم حُلّت محلها في عام 1924 بمجلس سوفيتي للشؤون القومية.

· 9.تجدر الإشارة إلى أن ستالين سيحل هاتين الجمهوريتين المتمتعتين بالحكم الذاتي إبان الحرب العالمية الثانية ويقوم بترحيل سكانهما.

· 10.سميت على اسم هذا الدبلوماسي الإنجليزي الذي اقترح حدودًا تستند بشكل عام إلى التكوين القومي للسكان، حيث يقع البولنديون في الغرب، والليتوانيون والبيلاروسيون والأوكرانيون في الشرق. تتطابق الحدود البولندية الحالية تقريبًا مع مسار خط كيرزون.

المصدر: https://lanticapitaliste.org/opinions/histoire/la-revolution-doctobre-et-la-question-nationale

مراجعة الترجمة الآلية: جريدة المناضل-ة

العنف والثورة في عام 1917

بقلم مايك هاينز Mike Haynes

مايك هاينز مؤرخ يعمل في بريطانيا. شارك في تحرير كتاب «التاريخ والثورة: دحض النزعة التحريفية» (History and Revolution Refuting Revisionism) (دار فيرسو، Verso 2017).

تشير إحصاءات الحرب العالمية الأولى إلى ما مجموعه 15 إلى 18 مليون قتيل، بما في ذلك الجنود والمدنيين. في نهاية عام 1917، قدر طبيب اشتراكي أن «الاندفاع الجامح لقطارات الموت» قد تسبب في «6364 قتيلاً يومياً، و12726 جريحاً، و6364 معاقاً». ربما كانت دقة هذه الأرقام خاطئة، لكن تقديرها الإجمالي كان صحيحًا. كان الناس يموتون في المعارك، وفي المجاعات والأمراض المرتبطة بها.

اندلعت ثورة فبراير الروسية في الأسبوع 135 من الحرب. وثورة أكتوبر في الأسبوع 170. وفي هذه الفترة التي استمرت قرابة 250 يومًا — والتي يصورها بعض المؤرخين على أنها فترة سفك دماء ثورية، سقط ما يقارب 2500 قتيل — بلغ عدد القتلى في أوروبا الرقم المروع البالغ 1.5 مليون. وعلى جبهات أوروبا الشرقية، وبرغم أن الخسائر كانت أقل في الفترة نفسها، سُجلت ما يقارب 100000 قتيل بين فبراير وأكتوبر. ويرجع هذا الهدوء النسبي، إلى حد كبير، إلى أن القوات الروسية كانت قد بدأت في التشتت، وكانت تطلق النار أحيانًا على من يحاولون إيقافها. كانت جرائم القتل تُرتكب كوسيلة للهروب من الموت، ولتجنب موت الآخرين: العنف أمر معقد.

وهو يتخذ اتجاهات مختلفة. في مايو 1917، بدأت عاملات المغاسل في بتروغراد إضرابًا. حاولن إجبار الجميع على مغادرة أماكن العمل عن طريق سكب الماء على المواقد ومكاوي الكي. وقام بعض مالكي المغاسل بسكب الماء المغلي على المضربات، مهددين إياهن بمكاوي ساخنة، ومناكيش نارية، وحتى مسدسات.

يزداد العنف لأن أي ثورة حقيقية لا يمكن أن تحدث دون إراقة دماء. لكن جزءًا كبيرًا من هذا العنف يحدث لاحقًا، عندما يبدأ العالم القديم، الذي يفقد السيطرة على نفسه، في الرد.

في عام 1917، ظل نطاق العنف محدوداً مقارنة بوحشية الحرب العالمية الأولى أو الحرب الأهلية التي تلت. بل يمكننا أن نجد أمثلة على ثوار تصرفوا بكرم تجاه العدو — وهو موقف غبي، لأن أولئك الذين أُطلق سراحهم سرعان ما انضموا الى الثورة المضادة المسلحة.

من السهل جدًّا قول إن «العنف يولد العنف». وسيكون صائبا أكثر التركيز على بعض الأساطير المتعلقة بالثورة وبعنفها.

ثورة دامية... بدون دماء

بدت ثورة فبراير حاظية بأوسع دعم، لكنها كانت عنيفة للغاية مقارنة بأحداث أخرى جرت في العام ذاته. أطلقت القوات والشرطة النار على الحشود، ورد بعض من الحشود بإطلاق النار. وأطلق جنود النار على جنود آخرين.

تشير معظم التقارير إلى ما يقرب من 1500 قتيل في بتروغراد، لكنه بالتأكيد أقل من العدد الفعلي. كان أولئك الذين سقطوا في خدمة الثورة يُكرمون في مراسم جماهيرية لم يسبق لها مثيل. وكان ما يقرب من نصف سكان المدينة — مليون شخص — يحضرون هذا الاحتفاء.

لقد اختفى العالم القديم. كانت الجماهير في حالة حداد وتتجمع بروح جديدة من الأخوة. ولا يزال ثمة حتى اليوم ميل إلى النظر إلى شهر فبراير بنظرة وردية، ربما لأن الأجواء كانت على وشك أن تتغير

بسرعة كبيرة في الأشهر التالية.

أرادت الحكومة المؤقتة الجديدة — التي كانت أكثر يسارية بكثير من الحكومات الأخرى في العالم — إرساء أكثر أشكال الديمقراطية الليبرالية تقدمًا، لكنها اضطرت إلى القيام بذلك على أنقاض النظام القيصري القديم.

كتب ألكسندر كيرينسكي لاحقًا أنه «لم تكن هناك، في جميع أنحاء الأراضي الروسية، سلطة حكومية، لا بل لم تكن هناك شرطة بالمعنى الحرفي للكلمة». وكانت السجون قد فُتحت في فبراير، ما أدى إلى الإفراج ليس فقط عن السجناء السياسيين، بل أيضًا عن آلاف المجرمين. وكان الناس يقتحمون متاجر الأسلحة.

كانت الحكومة تحاول تنفيذ سياسات جديدة وإرساء مؤسسات ومنظمات جديدة، بما في ذلك الميليشيات الشعبية، من أجل الحفاظ على السلام. ومنحت عفوًا عامًا، وألغت عقوبة الإعدام، وضمنت الحق في التجمع.

كما أرادت أن تصبح جسراً بين الأثرياء ومن لا يملكون شيئاً. ولخصت المشكلة على النحو التالي: النخب تريد نوعاً معيناً من النظام، والشعب يريد نوعاً آخر. كتب أحد الضباط بعد عدة أيام من تنازل القيصر: «يعتقدون [الجنود] أن الأوضاع يجب أن تتحسن بالنسبة لهم وتسوء بالنسبة للآخرين». اختلف الطرفان حول ماهية النظام والعدالة، وحول نوع القوى اللازمة لبلوغهما.

في أبريل، أصدر الأمير لفوف، الذي كان رئيسًا للوزراء آنذاك، تعميمات تناشد الناس التوقف عن ارتكاب الجرائم. وجاء في تلك التعميمات أنه من الضروري «وضع حد لكل أشكال العنف والسرقات بكل قوة القانون». وكان ذلك يشير إلى السرقات في الشوارع، لكنه كان يعني أيضًا أن على الفلاحين الكف عن «سرقة» أراضي الملاك.

كان إحلال النظام شبه مستحيل. كانت الضغوط المحلية تدفع السلطات الجديدة إلى التصرف — أو عدم التصرف — بطريقة تقوض أوامر بتروغراد. في أكتوبر، وحدها 37 مقاطعة من أصل 50 مقاطعة في روسيا الأوروبية كانت تتوفر على قوات شرطة جديدة. في غضون ذلك، كانت أجزاء كبيرة من الجيش تشعر بقلق متزايد.

عالم مقلوب

في شهر فبراير، سرق لص ماهر منزلاً مدعياً أنه يتصرف باسم لجنة ثورية. وسرعان ما حذا آخرون حذوه. وكان معدل الجريمة في ارتفاع في كل مكان.

في أكتوبر، كتب جون ريد: «كانت أعمدة الصحف [في بتروغراد] تمتلئ بتقارير عن جرائم السرقة والقتل الأكثر جرأة، ولم يكن المجرمون يُلاحقون قضائيًا». توقف الناس عن حمل الأشياء الثمينة معهم وأصبحوا يقفلون أبوابهم بإحكام. أخذ المجرمون يتندرون بأنهم باتوا بحاجة إلى حماية من الشرطة، كونهم الوحيدين المتبقين ممن يملكون شيئاً تمكن سرقته. أثار انهيار الجيش مشكلة أكبر. ففي الأماكن التي ظل فيها الجيش متماسكًا، ظل إلى حد كبير قوة حفظ للنظام، لكن السيطرة كانت قد أفلتت من أيدي الحكومة والثوريين على حد سواء. في غضون ذلك، تسببت حالات الفرار الجماعي من الخدمة في أعمال عنف خطيرة عندما حاولت عصابات الجنود اللصوص العودة إلى ديارهم أو البقاء على قيد الحياة في ضواحي المدينة.

لكن المشكلة الأكبر كانت أن الثورة قد قلبت العالم رأساً على عقب. فقد تلاشت روسيا القديمة التي كانت تتميز بالاحترام والخضوع. كان الناس معتادين على الذهاب إلى كل مكان بزيهم العسكري والمدني، وأوسمتهم وكُتافاتهم وأزرارهم وشرائطهم. أما الآن، فلم يعد بإمكانهم الخروج من منازلهم دون

المخاطرة بالوقوع في أوضاع عنيفة.

في البداية، كانت النخبة تستخف بالأحداث بابتسامة ساخرة. «كانت الطبقات الأدنى تنظر إلى الثورة على أنها مجرد كرنفال لعيد الفصح»، كما كتب أحد المعاصرين. «على سبيل المثال، كانت الخادمات يختفين لأيام كاملة، ويتجولن مرتديات أساورهن الحمراء، ويتنقلن بالسيارة، ويرجعن إلى المنزل في الصباح بالكاد ليجدن الوقت الكافي للاستحمام ثم الخروج مجددًا للاستمتاع».

لكن الأجواء بدأت تتغير عندما اتضح أن الثورة لن تتوقف. لم تعد الجماهير تبدو مستسلمة ولا وطنية، ولا ممتنة للفتات. باتت تتجمع بملابسها الرطبة والقذرة، وتبدأ في طرح مطالبها. كانت تشتكي، وتبصق، وتشتم. بدلاً من «الأسطورة الوطنية»، كما قال تروتسكي، تحول الشعب إلى «واقع مروع».

يمكننا استشعار تغير المناخ هذا من الطريقة التي يصف بها المراقبون الناس. أصبح أبطال فبراير يُوصفون الآن بأنهم جماهير جاهلة. عندما وصف فلاديمير نابوكوف، وهو ديمقراطي دستوري أنيق، أيام يوليو في بتروغراد، كتب أن الشعب كان «بنفس الوجوه المجنونة والغبية، كالحيوانات، التي شوهدت في أيام فبراير». كانوا يمثلون «انفجارًا بدائيًا» يجب الخوف منه.

وعندما كانت جماعات الفلاحين تستولي على الأراضي وتعيد توزيعها بمساواة، كان ذوو الامتيازات يقولون، دون سخرية: «لا تفعلوا بنا ما فعلناه بكم». وفي بعض الحالات، كانت قطعة أرض أحد الفلاحين تُعاد إلى المالك العقاري السابق. بنظر هؤلاء الملاك السابقين، كان رؤية منازلهم الفخمة تحترق إهانة كبيرة. أما بنظر الفلاحين، فقد كان ذلك تصرفاً عادلاً وطبيعياً تماماً.

وعندما كان الضباط المسجونون يشتكون من ظروف الاحتجاز في كرونشتاد، كان سجانونهم الجدد يردون: «صحيح أن مباني سجن كرونشتاد مروعة، لكنها نفس السجون التي بناها لنا النظام القيصري».

كان تروتسكي، الذي سجنته الحكومة المؤقتة، يستمتع عندما كان أنصار الحكومة، في أكتوبر، يتوسلون ألا يُسجن الوزراء المعتقلون في نفس الأماكن التي احتُجز فيها هو. وطوال فترة كاملة، سمح لهم تروتسكي بالتمتع بالإقامة الجبرية.

لم تحدث ثورة عام 1917 من أجل مسائل مجردة تتعلق بالنظام والقانون: كان الشعب يخوض معارك حقيقية لفرض النظام والقانون على من سيحكم البلد.

أرض من؟

ينشأ القانون من البنيات الاجتماعية والسياسية. كانت إحدى الصحف تؤكد على أن «المبادئ الأساسية للمجتمع [هي] الأمن الشخصي واحترام الملكية الخاصة». لكن كان يمكن قراءة ما كُتب على لافتة في إحدى المظاهرات: «الحق في الحياة أهم من حقوق الملكية الخاصة».

كان معظم الفلاحين يعتقدون أن الطبقة الأرستقراطية استغلت سلطة الدولة لانتزاع الأرض منهم. « إن امتلاك الأرض، كملكية، هو أحد أكثر الجرائم مخالفة للطبيعة»، لكن «هذه الجريمة تُعتبر حقاً مطابقا للقوانين البشرية»، كما كتب فلاح عصامي [2]. «إن ظلم الامتلاك الخاص للأرض يرتبط حتمًا بالعديد من المظالم والأعمال الخبيثة التي تتطلب حمايتها». أصبح استرداد الأرض عملاً من أعمال إعادة الحقوق.

كان بعض أعضاء الإدارات المحلية التابعة للحكومة المؤقتة يشاطرون هذه الرؤية، لكن كما كان متوقعًا، لم يكن هذا حال ملاك الأراضي. في بتروغراد، أخطأت الحكومة عندما وعدت بإصلاح قانوني بشأن الأراضي. لم يرَ الراديكاليون الأمر على هذا النحو.

«ثمة تناقض أساسي بيننا وبين خصومنا حول فهم ماهية النظام والقانون»، كما قال لينين:

«حتى الآن، كانوا يعتقدون أن النظام والقانون هما ما يرضي ملاك الأراضي والبيروقراطيين، لكننا نؤكد أن النظام والقانون هما ما يرضي غالبية الفلاحين... بالنسبة لنا، ما يهم هو المبادرة الثورية، التي يجب أن يكون القانون نتيجة لها. إذا انتظرتم حتى يصدر القانون كتابةً، وإذا لم تطوروا أنتم أنفسكم طاقة ثورية، فلن تحصلوا لا على القانون ولا على الأرض».

كان هذا الاقتناع يدعو إلى نظام قانوني جديد، من القاعدة إلى القمة. في كتاب «الدولة والثورة»، طور لينين هذا التأكيد الاستثنائي. كتب، للقضاء على التجاوزات والجريمة:

«...لا حاجة لذلك إلى آلة خاصة، أو جهاز قمع خاص؛ فالشعب المسلح سيتولى هذه المهمة بنفسه بكل بساطة وسهولة، تمامًا كما يفعل أي حشد من الرجال المتحضرين، حتى في المجتمع الحالي، عندما يفصلون بين الأشخاص المتشاجرين أو يمنعون إيذاء امرأة» [3].

لم يوافق ماكسيم غوركي على ذلك، مشيرًا إلى أنه رأى في القرى أشخاصًا ينضمون بمرح إلى أعمال العنف، وليس فقط ضد النساء. وقد انحاز المؤرخون، إلى حد كبير، إلى جانب غوركي، ولم يولوا اهتمامًا يذكر — بنحو مثير للدهشة — لما أسفر عنه هذا الصدام بين النظام القديم والجديد في الواقع.

بعد ثورة فبراير، بدأت قوى نظامية جديدة في الظهور. كانت السوفييتات ولجان المصانع تتوسع وتبدأ في تنظيم قوات جديدة، وإن كان ذلك بطريقة غير كافية. في كرونشتاد، التي اعتبرها البعض تجسيدًا للوحشية الثورية، أغلقت السوفييتات واللجان بيوت الدعارة، وحظرت السكر في الأماكن العامة، بما في ذلك ألعاب الورق.

كما تشكلت ميليشيات عمالية مستقلة عن تلك التي كانت خاضعة لأوامر الحكومة المؤقتة. ظهرت هذه الميليشيات بشكل عفوي في بتروغراد وأماكن أخرى. وربما بمقدار من المبالغة، كتبت صحيفة «برافدا» أن «التخريب قد اختفى من الشوارع بالنسبة لهذه المجموعات، مثل الغبار أثناء العاصفة «.

قرب متم شهر مارس، وبينما كانت الحكومة تحاول إنشاء قوة شرطة خاصة بها، أنشأ العمال وحدات جديدة من الجيش الأحمر، لا سيما في بتروغراد. تفاوت عددها بين الارتفاع والانخفاض، لكنه ازداد في أكتوبر. ومن المرجح أنها كانت، عشية الثورة، موجودة في جميع أنحاء روسيا.

كان هؤلاء الضباط شبابًا عديمي الخبرة، على الرغم من أنهم كانوا على الأرجح أكثر فعالية من الميليشيا المدنية محبطة المعنويات، وشكلوا نموذجًا للنظام البديل. كتب تروتسكي: «كانت الصحافة تتهم الميليشيا بارتكاب أعمال عنف ومصادرة ممتلكات واعتقالات غير قانونية». «مما لا شك فيه أن الميليشيا كانت تستخدم العنف: فقد أُنشئت لهذا الغرض بالذات. إلا أن جريمتها كانت في استخدام العنف ضد ممثلي الطبقة التي لم تكن معتادة على تحمله ولم ترغب في التعود عليه».

كما دعا الثوريون إلى تشكيل وحدات موالية للبلاشفة داخل الجيش، وقد أدت الوحدات دورًا رئيسيًّا في أكتوبر في بتروغراد.

تضاربت الرؤى المختلفة حول الطريقة التي وُصف بها هؤلاء الجنود. فقد وصفتهم الحكومة المؤقتة بأنهم «غير موثوق بهم»، لكن بالنسبة لمن قادوا الثورة، فإن «الوحدات غير الموثوق بها» الوحيدة كانت تلك التي لا تزال تدعم الحكومة.

النظام القادم من القاعدة

لجأت الحكومة المؤقتة، بقصد إرساء النظام، إلى العنف. فقد حرصت على معاقبة التحركات المناهضة للحرب التي كانت تجري على الجبهة بالأشغال الشاقة. أطلق كيرينسكي هجوم يونيو على أمل مساعدة الحلفاء في المجهود الحربي وتعزيز النظام الداخلي، لكن العديد من الجنود رفضوا القتال. ثم، في يوليو، لقي 56 شخصًا مصرعهم في بتروغراد في احتجاجات شوارع ملتبسة.

وصفت الحكومة أحداث يوليو بأنها محاولة انقلاب. واعتقلت تروتسكي ودفعت لينين إلى العيش في سرية. وأعاد الجيش فرض عقوبة الإعدام على الجبهة، لكنه لم ينفذ سوى عدد قليل من عمليات الإعدام بسبب معارضة القوات لها.

بدأت الطبقات ذات الامتيازات تنظر إلى القائد الأعلى، الجنرال كورنيلوف، باعتباره قائدًا قويًا. وعندما انهار رهانها على السلطة، أصبحت الأوضاع أكثر توتراً. وتكاثرت عمليات الاستيلاء على الأراضي في الريف، ونشرت الحكومة قواتها القليلة الموثوقة لكبحها.

تباينت أحداث أكتوبر تبايناً شديداً مع العنف الفوضوي الذي ساد في فبراير. ولقي حوالي خمسة عشر شخصاً مصرعهم في بتروغراد، وأصيب حوالي 50 آخرين. لم تعد الحكومة المؤقتة سوى هيكل فارغ. «تفوح منا رائحة الانحطاط»، كما صرخ أحد الوزراء. تم احتواء العنف بفضل السلطة الصاعدة الجديدة: السوفييت.

في يوم الأحد، 22 أكتوبر، شهد نظام فبراير مئات الآلاف من الأشخاص يكتسحون الشوارع لدعم يوم السوفييت في بتروغراد. ولو اندلعت معركة حقيقية، لكان بإمكان الحكومة الضعيفة حشد 25 ألف من أنصارها المسلحين على أقصى تقدير. وفي المقابل، كان ما لا يقل عن 100 ألف جندي مستعدين للقتال دفاعًا عن السوفييت.

في الواقع، نفذ الثوريون الاستيلاء على السلطة بنظام لافت للنظر. ونشر سوفييت بتروغراد ملصقات كُتب عليها:

«يتولى مجلس مندوبي العمال والجنود مسؤولية الحفاظ على النظام الثوري في المدينة... ولن تسمح حامية بتروغراد بأي عنف أو فوضى. ويدعى السكان إلى إلقاء القبض على المخربين والمحرضين من «المئات السود» وتسليمهم إلى أقرب مفوضيات مجلس مندوبي العمال والجنود «.

عندما سقط قصر الشتاء، منع القادة البلاشفة اغتيال الوزراء، وبدلاً من ذلك تم اعتقالهم. وكانت القوات تسجل بيانات المهاجمين والمدافعين واللصوص لمنع عمليات النهب.

وقد وجهت وزارة الحرب، التي كانت شبه معطلة، إشادة غامضة إلى الثوريين، في إحدى رسائلها الأخيرة:

«يحافظ المتمردون على النظام والانضباط. لم تحدث أي أعمال نهب أو مذابح؛ بل على العكس، قامت دوريات من المتمردين باعتقال الجنود الذين كانوا يترنحون... ولا شك أن خطة الانتفاضة كانت معدة مسبقًا ونُفذت بإصرار وبنظام...».

في 26 أكتوبر، دعا السوفييت سائر روسيا إلى تبني النظام الجديد: «عيون روسيا الثورية بأسرها والعالم بأسره تتجه إليكم». وفي بتروغراد، تم تدمير 9 أقبية نبيذ لتجنب أن يغمر الناس سكر النصر.

اندلعت معارك ضارية في موسكو ولقي عدة مئات من الأشخاص حتفهم. لكن في معظم أنحاء البلد، كما سيقول لينين لاحقًا، «كنا ندخل أي قرية نرغب فيها، ونعلن قيام حكومة السوفييت، وبعد أيام قليلة، كان 9 من كل 10 عمال ينضمون إلى صفوفنا».

ازدادت الأمور عنفًا في الضواحي، حيث كان بإمكان المدافعين عن الحكومة المؤقتة الاستعانة ببقايا الجيش القديم لمقاومة الثورة. وهناك سُفك أكبر قدر من الدماء.

تعلم القسوة

الثورات أعمال عنيفة، لكن للعنف وجوهًا عديدة. في مطلع عام 1918، بدا أن الثورة الروسية قد انتصرت. كانت تدعو إلى السلام وتطالب الشعب بالانتفاض لتحقيقه.

لكن القوى الأوروبية لم تكن تريد السلام، ولا ثورة ظافرة على عتبة أبوابها. ولهذا السبب، خرقت القوى المركزية الهدنة ومارست عنفها الخاص على الجبهة الشرقية. كما دعمت العنف المضاد للثورة في روسيا. في الواقع، لا يمكن فهم الحرب الأهلية التي استمرت بعد ذلك دون الإشارة إلى هذه المساعدة الخارجية.

في متم العام 1917، دعا القائد الأعلى السابق، الجنرال أليكسييف، القوات المناهضة للبلاشفة إلى التجمع في منطقتي الدون والكوبان. وفي فبراير 1918، لم يستجب للدعوة سوى 4000 جندي. في العام السابق، كان عدد الضباط الروس يبلغ 250 ألف. ويبدو أن قلة قليلة منهم كانت مستعدة لمواصلة القتال.

ولولا الدعم الأكبر من الخارج، لما كان لهؤلاء المعادين للثورة أبدًا الثقة ولا الوسائل اللازمة لمواصلة حربهم. وفي هذا السياق، وكما سيقول تروتسكي لاحقًا، كان على الثورة أيضًا أن تتعلم أن تكون قاسية.

[1] ليون تروتسكي، تاريخ الثورة الروسية.

[2] Mark D. Steinberg, Voices of Revolution, 1917, New Haven, Yale University Press, 2001

[3] لينين، الدولة والثورة.

المصدر: https://www.marxists.org/history/ussr/events/revolution/100th/francais/haynes.html

الترجمة: جريدة المناضل-ة